290

الأبحاث والدراسات

ملامح الحياة العلمية والفكرية في نجران

(ق١-ق٤هـ/ق٧-ق١٠م) (*)

أ. د. غيثان بن علي بن جريس

(*) دراسة منشورة في كتاب: نجران : دراسة تاريخية حضارية (ق١-ق٤هـ/ق٧ق١٠م)، لغيثان بن جريس (الطبعة الثانية) (الرياض: مطابع الحميضي ،١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)،جـ١،ص ص٤٠١-٤٦٨.

الفصل السادس

ملامح الحياة العلمية والفكرية في نجران

أولاً : تمهيد :

من يستقرئ تاريخ نجران القديم بشكل خاص ، وبلاد اليمن بشكل عام ، فإنه سوف يجد تاريخاً حافلاً بحضارات عريقة تعاقبت على هذه الأجزاء من الجزيرة العربية ، بل سيجد أن مرحلة الاستيطان في هذه البلاد يعود إلى الآف السنين قبل ظهور الإسلام ، وهكذا استمرت تتقلب على حكمها عدد من الحكومات والممالك المتتالية والمختلفة في سياساتها ومقوماتها . وإذا كانت المعتقدات الوثنية قد عرفت سبيلها إلى نجران ، فإن النجرانيين قد عرفوا أيضاً معتقدات أخرى منها ما هو سماوي وآخر وضعي ، كاليهودية ، والنصرانية ، والحنفية ملة سيدنا إبراهيم عليه السلام ، وكذلك عبادات الفرس ، كالصابئة ، والمجوسية ، والزرادشتية وغيرها .

كل هذه التقلبات السياسية والعقدية كان لها من المؤكد إفرازات حضارية وفكرية وثقافية متنوعة ، وبالتالي فإن بلاد نجران وما جاورها من بلدان اليمن ، لم تكن بلاداً خاليةً من الحضارات السابقة ، وإن كانت في حقيقة الأمر تدهورت الأوضاع في جميع أنحاء الجزيرة العربية خلال العصور السابقة لظهور الإسلام مباشرة، ولكن جذور حضارات جنوب الجزيرة العربية ظلت تجري في عروق سكانها ، وتؤثر في نفوسهم ، وكانت في حاجة إلى من يبعثها من جديد ويعيد إليها الحياة ويغذيها ، فجاء الإسلام ، وأقبل النجرانيون ومن جاورهم من أهل اليمن ، وبلاد تهامة والسراة على اعتناقه . وقد أحيا فيهم الإسلام طاقاتهم الكامنة ، وبفضله عادت إلى سكان هذه البلاد أصالتهم الفكرية التي جمدها الاستعمار

الذي تعرضوا له [١] ، وكذلك صراع القبائل الذي شغلهم عن توجيه جهودهم للسير قدماً في ركب الحضارة . ولذلك أقبل النجرانيون ومعظم سكان الجزيرة العربية على دراسة العلوم الدينية واللغوية بشغف شديد ، وساهموا مساهمة فعالة في ازدهار علوم الإسلام [٢] .

وفي الصفحات التالية من هذا الفصل سوف نركز حديثنا على ملامح الحياة العلمية والفكرية في بلاد نجران ، وما جاورها من البلدان التي لم تنل حظاً من الدراسة والتحليل ، وأخص بذلك أجزاء من بلاد السروات والهضاب القريبة من بلاد نجران من النواحي الغربية والشمالية [٣] ، وربما نشير إلى بلاد صعدة في

---

(١) لقد وقعت بلاد جنوب الجزيرة العربية تحت عدد من القوى الاستعمارية ، خلال العصور السابقة لظهور الإسلام ومن تلك القوى ، الفرس ، والروم ، والأحباش ، وجميعهم عاثوا في هذه البلاد الفساد ، وزادوا من حدة التمزق والتخلف والتدهور الذي خيم على جميع الأجزاء الجنوبية من الجزيرة العربية ، ثم جاء الإسلام ، فأنقذ هذه البلاد مما حل بها . للمزيد انظر جواد علي ، جـ ٣ ، ص ٤٥٣ وما بعدها ، جـ ٧ ، ص ١٥٨ وما بعدها ، الألوسي ، جـ ١ ، ص ٢٥١ ، عابدين ، ص ٤٨ ، عامر ، ص ٧ – ٨ ، الفقي ، ص ٢٦ ، الشجاع ، ص ٢٣ وما بعدها .

(٢) لو حاولنا معرفة الجهود التي بذلها سكان الجزيرة العربية ، خلال القرون الإسلامية الأولى في خدمة الحياة العلمية والفكرية داخل بلادهم ، بل وفي معظم أنحاء العالم الإسلامي انذاك ، فإننا سوف نجد المصادر الإسلامية المبكرة افاضت الحديث عن علماء الجزيرة العربية ، وبخاصة علماء الحجاز واليمن ، وبعض الحواضر الكبرى في جزيرة العرب ، كما سنجد منهم من برز في علوم عديدة ، ومنهم من برز في علم معين . وإن أمعنا النظر في أوضاع الحياة العلمية والفكرية في بعض الأجزاء النائية أو الصغيرة في الجزيرة العربية مثل نجران ، وتهامة والسراة ، واليمامة على سبيل المثال ، فإننا سوف نجد آثار للحياة العلمية ، لكنها ليست بالمستوى الذي لمسناه في حواضر اليمن والحجاز الكبرى ، وذلك ربما يعود إلى عدم اهتمام مدوني التراث بتدوين ما حدث في هذه البلدان الصغيرة ، مع العلم أننا نجزم بأن أوضاعها العلمية كانت جيدة ، وبخاصة نجران ، وتهامة والسراة ، التي كانت تمثل حلقة وصل ما بين اليمن والحجاز ، بل ما بين الشمال والجنوب من جزيرة العرب . وللمزيد انظر ، الفقي ، ٢٧٢ وما بعدها ، السباعي ، ص ١١٥ ، ١٥٣ ، ٢١٧ ، شرف الدين ، تاريخ الفكر ، ص ١٤ وما بعدها .

(٣) لن نذهب بعيداً للحديث عن بلاد السروات الممتدة من نجران وصعدة جنوباً حتى الطائف شمالاً ، لأننا سبق وأن افردنا دراسة لهذه الأجزاء مع الأجزاء التهامية في بحث بعنوان : " ملامح الحياة العلمية في بلاد تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة " وتم نشره في ندوة اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة ، حصاد (٩) (١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م) ، ص ١٩٥ – ٢٥٦ ، كما أعدنا نشره في كتابنا : " دراسات في تاريخ تهامة والسراة ... " جـ ١ ، ص ٢٤٩ – ٣٣٤ .

النواحي الجنوبية من نجران [١] . ومنهجنا في دراسة هذا الفصل سوف تتركز على أسماء العلوم والعلماء الذين حفظتهم لنا كتب التراث ، مع ذكر نماذج من تلك العلوم وأصحابها ، وقد قسمنا هذه العلوم إلى عدة أقسام هي : العلوم الدينية ، والعلوم اللغوية والأدبية ، وعلوم ومعارف أخرى متنوعة سوف نذكرها في مواقعها من هذا الفصل .

ثانياً : العلوم الدينية :

وهذه العلوم تدور في فلك علوم الشريعة الإسلامية مثل : علوم القرآن وتفسيره ، وعلوم الحديث ، والفقه ، وما يتعلق بالعقيدة الإسلامية ، وكان لها أثر في بلاد نجران وما جاورها من البلدان خلال فترة دراستنا .

١- علوم القرآن وتفسيره :

ونحن ندرك أن الرسول ﷺ حرص على نشر الإسلام في جميع أصقاع الجزيرة العربية ، ولم تأت السنة العاشرة من الهجرة ، إلا ونجده يرسل خالد ابن الوليد ﷺ إلى أهل نجران ، فيسلم من يسلم منهم على يد خالد ، ويتوافدون على المدينة لإشهار إسلامهم بين يدي رسول الله ﷺ ، ثم يتعلمون

(١) قلنا – ربما – وهذا يفيد اننا قد نشير إلى صعدة وعلاقتها بنجران ، وبخاصة بعد أن ظهرت فيها الدولة الزيدية وسعى أئمتها إلى مد نفوذهم إلى بلاد نجران منذ نهاية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) . للمزيد عن الدولة الزيدية ، انظر ، شرف الدين ، اليمن ، ص ٢٤٥ وما بعدها ، الواسعي ، ص ١٧٩ وما بعدها ، البلادي ، ص ٢٣٧ وما بعدها .

على يديه علوم الشريعة [١] . كذلك وفد على الرسول ﷺ في العام نفسه وفد نصارى نجران ، وحصل بينهم وبين الرسول ﷺ ما حدث من نقاشات أدت في نهاية المطاف إلى بقائهم على نصرانيتهم وصالحهم الرسول ﷺ على ألفي حلة يؤدونها إليه وإلى خلفاء المسلمين من بعده كل عام [٢] . وعلى إثر هاتين الوفادتين نجد بلاد نجران تنضوي تحت لواء الدولة الإسلامية ، وبالتالي أصبحت من المواطن المرتادة من قبل صحابة رسول الله ﷺ و لم ينتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلا وقد أرسل إليها ، بل وإلى عموم بلاد تهامة والسراة ، وبلاد اليمن عدد كبير من الصحابة ﷺ ليقوموا على أمر هذه الجهات ويتولون إدارتها وجمع زكواتها وصدقاتها . ومنهم : علي بن أبي طالب ، وأبو عبيدة عامر بن الجراح ، وعمرو بن حزم ، وخالد بن الوليد ، وأبو سفيان بن حرب ، وعبد الله بن جرير البجلي ، ومعاذ بن جبل ، وخالد بن سعيد بن العاص ، وفروة بن مسيك المراد ي ، وأبو موسى الأشعري ، وقيس بن مكشوح المرادي ، والمهاجر بن أبي أمية ، ويعلى بن أمية ، وعمرو بن معد كرب الزبيدي ، ويزيد بن عبد المدان وغيرهم

---

(١) ابن خياط ، ص ٩٤ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٦ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٣ ، ونجد الهدف الرئيسي من إرسال خالد هو تعليم أهل نجران كتاب الله وسنة رسوله ، ظهر ذلك في نص رسالة الرسول ﷺ ، وذلك يتضح من كلام خالد بن الوليد عندما كتب إلى الرسول ﷺ فقال : ((أما بعدُ يا رسول الله : فإنك بعثتني إلى بني الحارث بن كعب ، وأمرتني إذا أتيتهم أن لا أُقاتلهم ثلاثة أيام ، وأدعوهم إلى الإسلام ، فإن اسلموا قَبلتُ منهم ، وعلّمتُهم معالم الإسلام ، وكتابَ الله وسنةَ نبيّه ..)) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٦ – ١٢٧ .

(٢) انظر أبو يوسف ، الخراج ، ص ٧٢ ، ابن سلام ، ص ٢٧٢ ، البلاذري ، فتوح ، ص ٧٦ ، ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٥٨ ، الزمخشري ، تفسير ، جـ ١ ، ص ١٧٨ .

كثير ﷺ [١] . وكان كل واحد من هؤلاء يأتي إلى نجران ومعه توجيه من رسول الله ﷺ بأداء مهمة محددة ، فقد يكون والياً على نجران كعمرو بن حزم [٢] ، وقد يكون مصلحاً ومعلماً وموجهاً لسكان نجران ، مسلمهم أو ذميهم ، كما فعل أبو عبيدة عامر بن الجراح عند ما أرسله الرسول ﷺ مع نصارى نجران ليكون حكماً بينهم فيما يختلفون فيه [٣] ، أو مثل معاذ بن جبل الذي أرسله معلماً وقاضياً ، ومرشداً لأهل اليمن ، فكان يتنقل بين قرى ومدن اليمن يعلم الناس ويرشدهم [٤] ، وهناك من أرسل لجباية خراج وجزية أهل نجران ، وأجزاء أخرى من بلاد اليمن ، كما فعل علي بن أبي طالب الذي قام بهذه المهمة أكثر من مرة [٥] ، وهناك من أرسل إلى نجران ليؤم الناس في صلواتهم كما كان أبو سفيان بن حرب [٦] ، أو القضاء بين المسلمين فيما اختصموا فيه كما كان علي بن أبي طالب ، وراشد بن عبد ربه [٧] . وهؤلاء الصحابة ﷺ ، وغيرهم من التابعين وتابعي التابعين ، الذين توافدوا على نجران وغيرها من بلاد اليمن وأنحاء شبه الجزيرة العربية المختلفة ، كان معظمهم إن لم يكن كلهم علماء أفذاذاً في علوم الشريعة وعلى رأسها القرآن الكريم ،

---

(١) انظر الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٣٦ ، ١٤٧ ، ١٨٥ ، ٢٢٨ ، البلاذري ، أنساب ، جـ ١ ، ص ٥٢٩ ، اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ٧٦ ، ابن سعد، جـ ٢ ، ص١٦٩ ، ابن كثير ، البداية ، مج ٣ ، جـ ٦ ، ص٣١٢ ، وكيع ، جـ ١ ، ص ٩٧ .

(٢) انظر البلاذري ، فتوح ، ص ٨٠ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ٢٢٨ ، ابن سمرة ، ص ٢٢ ، ٢٣ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ٤٨١

(٣) ابن كثير ، التفسير ، جـ ١ ، ص ٣٧٧ .

(٤) البلاذري ، أنساب ، جـ ١ ، ص ٥٢٩ ، وكيع ، جـ ١ ، ص ٩٧ – ٩٨ .

(٥) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ٢ ، ص٧٦ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص١٤٧ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ٢ ، ص٤٨٢ .

(٦) ابن عبد ربه ، جـ ١ ، ص ٣٠٨ .

(٧) المصدر نفسه ، كما انظر ، وكيع ، جـ ١ ، ص ٩١ – ٩٥ ، أبو يوسف ، ص ١١٧ وما بعدها ، الماوردي ، أدب القاضي ، جـ ١ ، ص ١٣١ .

الذي حفظه كثير منهم ، وعرف معانيه وتفسيره على يدي رسول الله ﷺ . فهذا علي بن أبي طالب ، وعمرو بن حزم ، وأبو عبيدة عامر بن الجراح ، ومعاذ بن جبل ، وسعيد بن العاص ، وخالد بن الوليد وغيرهم من الصحابة ، جميعهم خريجو مدرسة رسول الله ﷺ ، وقد قدموا إلى نجران وما جاورها من بلدان جنوب الجزيرة العربية لأجل تعليم وتفقيه الناس أمور دينهم ، وترسيخ قدم الإسلام في تلك البلاد ، ومحاربة الشرك وأعوانه [١] .

وهؤلاء الصحابة هم الذين نقلوا القرآن وعلومه من رسول الله ﷺ إلى أهل نجران وعموم بلاد اليمن ، ثم تداول هذا العلم التابعون من بعدهم ، ونقلوا عنهم ، ولم يزل متناقلاً ، حتى صارت المعارف علوماً ، فدونت هذه الأقوال ، وهذا ما يسمى بالتفسير المأثور ، وكان المفسرون إذا احتاجوا شيئاً عن بدء الخليقة والكون وأسرار الوجود يسألون أهل الكتاب ، ويأخذون برواياتهم ، فامتلأت التفاسير بالأخبار التي نقلت عنهم [٢] . وقد أخطأ المفسرون الذين نقلوا هذه الأخبار من كتبهم دون مناقشة ، على الرغم من أن الكثيراً منها غير صحيح ، وكان رائد هذا النوع من التفسير يمنياً تابعياً ، يسمى كعب الأحبار ، وقد ترك ديانته اليهودية واعتنق الإسلام في عهد الخليفة أبي بكر الصديق [٣] . كما كتب وهب بن منبه اليمني أيضاً في التفسير على نمط كعب الأحبار ، وقد قرأ الكثيراً من الكتب السماوية ، وامتلأت كتبه بالإسرائيليات ، ونقل المفسرون المتأخرون عن كعب الأحبار ، ووهب بن منبه الكثير من معلوماتهم عن الأمم الغابرة والأنبياء

---

(١) للمزيد انظر ، شرف الدين ، تاريخ الفكر ، ص ١٤ وما بعدها ، الشماخي ، ص ٧٨ – ٧٩ .

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ٤٣٩ – ٤٤٠ .

(٣) للمزيد عن كعب الأحبار ، انظر السومحي ، جـ ١ ، ص ٥٠ – ٥٤ ، ٤٣٨ – ٤٤٠ .

السابقين للرسول ﷺ ، ومن كتب وهب بن منبه ((**الزهر الأنيق في قصة يوسف الصديق**)) . [١]

وظل المفسرون في جنوب الجزيرة العربية يتبعون منهج وهب بن منبه ، وكعب الأحبار في التفسير حتى ظهرت مدرسة الحديث في اليمن على يد معمر بن راشد الأزدي [٢] ، (ت ١٥٣ هـ / ٧٧٠ م) ، فكتب تفسيراً يعتمد على الرواية الصحيحة عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين ، وتبعه تلاميذه ، ومن أبرز المفسرين أيضاً ، نشوان الحميري ، ومن كتبه في التفسير ((**التبيان في تفسير القران**)) و ((**العدل والميزان في موافقة القرآن**)) [٣] .

وهناك بعض علماء الزيدية الذين ظهروا في صعدة وسعوا لنشر علومهم إلى نجران أمثال : عبد الله بن الحسين بن قاسم بن إبراهيم المعروف بصاحب الزعفرانة ، وقد جاء من الحجاز إلى صعدة مع أخيه الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين ، ومن كتبه : كتاب الناسخ والمنسوخ من القرآن الكريم ، وكتاب تفسير القرآن الكريم ، وكتاب مطلع البدور ، وكتاب طبقات الزيدية الكبرى [٤] .

وكذلك من علماء أهل السنة خلال القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) موسى بن طارق اللحجي ، الذي كان عالماً بعلوم القرآن ، له

---

(١) انظر الفقي ، ص ٢٧٤ ، وللمزيد عن حياة وهب بن منبه انظر ابن سمرة ، ص ٥٧ ، شرف الدين ، تاريخ الفكر ، ص ٢٧ – ٢٨ ، السوسحي ، جـ ١ ، ص ٥٠ – ٥٤ ، ٤٤٥ – ٤٤٩ .

(٢) يعتبر معمر بن راشد الأزدي من أهل الطبقة الثانية في رواية الحديث ، ولكن يعد أول من جمع الحديث في الإسلام ، مات في صنعاء عام (١٥٠ هـ / ٧٦٧ م) وقيل عام (١٥٣ هـ / ٧٧٠ م) . ابن سمرة ، ص ٦٦ ، ٦٩ ، ٧٤ ، انظر شرف الدين ، تاريخ الفكر ، ص ٣١ ، الفقي ، ص ٢٧٤ .

(٣) الفقي ، ص ٢٧٤ نقلاً عن كتاب المفيد لعمارة اليمني ، ص ٥٧٣ .

(٤) الفقي ، ص ٢٧٤ ، وللمزيد انظر ، الحبشي ، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ، ص١٥ ، شرف الدين ، تاريخ الفكر ، ص ١٦٨ وما بعدها . ومع أن أئمة الزيدية وعلمائها عملوا جاهدين في السيطرة على نجران منذ نهاية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ، وقد نجحوا لبعض الوقت ، إلا أنهم لم يستطيعوا ترسيخ مبادئ المذهب الزيدي في البلاد النجرانية .

كتاب ((الجامع المشهور)) وله دراسات قرآنية اقتبسها من الإمام مالك ، والإمام أبي حنيفة وابن جريج ، وسفيان الثوري ، وقد استفاد من أساتذته مثل : القارئ نافع بن أبي نعيم، أحد السبعة القراء ، وكان موسى يتنقل للتدريس في كثير من مدن اليمن ، وتهامة والسراة ، والحجاز ، وترك تلاميذ في كل هذه البلاد ، وله آثار طيبة فيها [١] .

٢ - الحديث :

كذلك وجه بعض رجالات جنوب الجزيرة عنايتهم إلى جانب التفسير بعلم الحديث النبوي وتدوينه ، ومن أقدم علماء الحديث ، وبخاصة في بلاد اليمن ، همام بن منبه ، المتوفى عام (١٣١ هـ / ٧٤٨ م) الذي روى الأحاديث عن أبي هريرة ، وصنف همام ((الصحيفة الصحيحة)) [٢] . كما أخذ عنه معمر بن راشد الأزدي ، ومعمر يعد من الرواد الأول في جمع الحديث وتدوينه ، ومن كتبه ((الجامع المشهور في السنن)) ، وهو من أقدم كتب الحديث [٣]. ومن أصحاب علي بن أبي طالب ، ومن رجال الطبقة الأولى من التابعين حجر بن قيس المدري ، نسبة إلى مدرات بوادي الجند، وهو الذي قصده الشافعي للأخذ منه [٤] .

---

(١) انظر ابن سمرة ، ص ٦٩ ، ٧٠ . لم يذكر أن هذا العالم ذهب إلى نجران ، لكن يذكر أنه كان يتنقل للتدريس ما بين لحج ، وعدن ، ومكة ، وزبيد ، فلا يستبعد أنه وصل إلى نجران ، أو بعض طلبة العلم في نجران وما حولها تتلمذوا على يديه سوى في اليمن أو الحجاز .

(٢) ابن سمرة ، ص ٥٣ ، ٥٧ ، ٦٦ .

(٣) يعتبر هذا الكتاب أقدم من كتاب " الموطأ " للإمام مالك بن أنس ، ولمعمر بن راشد كتاب آخر عن (المغازي) مروياً عن شيخه الزهري ، ابن سمرة ، ص ٦٦ .

(٤) ابن سمرة ، ص ٦٠ ، وللمزيد انظر الفقي ، ص ٢٧٥ .

ونجد أن حواضر اليمن الكبرى كصنعاء ، وعدن ، وصعدة ظهر فيها علماء أجلاء برزوا في علوم الدين ، كالفقه والحديث ، وارتحلوا إلى مراكز علمية عديدة داخل الجزيرة العربية وخارجها ، فتعلموا على أيدي علماء مشاهير وأئمة كبار ، أمثال : الأوزاعي ، وسفيان بن عيينة ، وسفيان الثوري ، والإمام مالك بن أنس ، والإمام أبو حنيفة النعمان ، والإمام الشافعي ، والإمام أحمد بن حنبل وغيرهم كثير ، ثم عاد بعضهم إلى بلاد اليمن ليعلم الناس ويفقههم في دينهم ، ومنهم من اشتهر بالتأليف والتدوين إلى جانب التدريس فكتبوا مؤلفات عديدة في العلوم الشرعية المختلفة ، بل إن بعضهم اشتهر حتى أصبح طلاب العلم يفدون إليهم من أقطار بعيدة كي ينهلوا من علومهم الغزيرة [١] .

وإذا ما حاولنا معرفة من ظهر من علماء الدين النجرانيين وبخاصة في علم الحديث ، فإننا لا نجد فيهم من اشتهر وظهر صيته في التدريس والتأليف ، ولكننا نجد منهم من روى الأحاديث ، وسوف نورد أسماء أولئك الرواة ، كل حسب عشيرته التي ينتمي إليها في قبائل مذحج والأزد ، وهم على النحو التالي :

أ – من أهم رواة بني الحارث بن كعب هاني بن يزيد بن نهيك بن دريد بن سفيان ابن الضباب ، واسمه سلمة بن الحارث بن ربيعة بن الحارث بن كعب الحارثي ، وقيل هاني بن يزيد بن كعب المذحجي الحارثي [٢] . ويذكر ابن الأثير أنه وفد مع قومه على رسول الله ﷺ ، فسمعهم يكنونه بأبي الحكم فدعاه الرسول ﷺ ثم قال

---

(١) للمزيد عن علماء بلاد اليمن ، وعن الحياة العلمية والفكرية هناك خلال القرون الإسلامية الأولى ، انظر . ابن سمرة ، ص ١٥ وما بعدها ، شرف الدين ، تاريخ الفكر ، ص ٢٥ وما بعدها ، الشامي ، تاريخ اليمن الفكري ، (الثلاثة الأجزاء الأولى) ، انظر أيضاً ، أحمد أمين ، فجر الإسلام (طبعة بيروت / ١٩٦٩ م) ، ص ٣٠ وما بعدها .

(٢) انظر ترجمته ، ابن الأثير ، أسد الغابة ، جـ ٥ ، ص ٥٢ – ٥٣ ، ابن حجر ، الاصابة ، مج ٣ ، جـ ٦ ، ص ٢٨٧ – ٢٧٩ .

له : ((**إن الله هو الحكم فلم تكنى أبا الحكم ؟ قال لأن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين ، فقال : رسول الله ﷺ ما أحسن هذا ، فمالك من الولد ؟ قال : شريح ، ومسلم ، وعبد الله ، قال : فمن أكبر ، قال : شريح ، قال : ﷺ فأنت أبو شريح**)) [١] .

ومن رواة بني الحارث بنجران عبده بن مسهر الذي يذكر عنه أنه أدرك النبي ﷺ ، وروى عنه إسماعيل بن أبي خالد عن أبي زرعة بن عمر ، وابن جرير عن عبده بن مسهر أنه قال ، قال رسول الله ﷺ أين منزلك يا ابن مسهر قال : قلت بكعبة نجران ، رواه ابن أبي زائدة ومنصور بن أبي الأسود وغيرهما عن إسماعيل [٢] .

ب – ومن رواة قبيلتي مراد وزبيد المذحجيتين المجاورتين والمخالطتين لعشائر بني الحارث وغيرهما في نجران وما حولها فروة بن مسيك المرادي [٣] روى عنه كثير من الرواة الثقاة ، عن فروة قال : أتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله سبأ رجل هو أم امرأة ؟ فقال : هو رجل من العرب ، ولد عشرة ، تيامن منهم ستة [٤]، وتشأم منهم أربعة [٥] ، فأما الذين تيامنوا ، فالأزد ، وكندة ، ومذحج ، والأشعرون [٦] ، وأنمار ، ومنهم بجيلة . وأما الذين تشأموا ، فعاملة (بطن من كهلان) ، وغسان ، ولخم ، وجذام ، وهم الذين أرسل عليهم سيل العرم [٧] .

---

(١) المصدران نفسهما .

(٢) ابن الأثير ، اسد الغابة ، جـ ٣ ، ص ٣٣٧ ، ابن حجر ، الاصابة ، مج٢ ، جـ ٤ ، ص ١٩٥ .

(٣) لمزيد من التفصيلات عن ترجمة فروة المرادي انظر ، ابن حجر ، الاصابة ، مج ٣ ، جـ ٥ ، ص ٢٠٩ ، ٢٢١ .

(٤) أي ذهبوا إلى اليمن واستقروا بها .

(٥) أي قصدوا بلاد الشام واستقروا بها .

(٦) الأشعرون : هم بني الأشعر بن أدد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان ، انظر عمر كحالة . معجم القبائل العربية القديمة والحديثة ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، د.ت) ، جـ ٢ ، ص ١٧ .

(٧) انظر الميداني ، كتاب مجمع الأمثال (طبعة بيروت / ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م) ، ص ٧٦ وللمزيد انظر ، ابن الكلبي ، نسب معد (جزءان) ، الأشعري القرطبي ، التعريف في الأنساب ، ص ١٤٤ وما بعدها .

وأيضاً نافع بن عمرو بن معد كرب الزبيدي الذي روى حديثه محمد بن إسحاق ابن إبراهيم بن أبي نافع بن معد كرب عن جده أبي عن أبيه نافع بن معد بن كرب أنه قال : ((**كنت أنا وعائشة ، إذ سألت رسول الله ﷺ عن لاية ، يعني ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ قال : يار ب مسألة عائشة ، فأنزل الله جبريل عليه السلام فقال الله تبارك وتعالى يقرئك السلام ، وهو يقول: هذا عبدي الصالح بالنية الصادقـــة، وقلبه نقي يقول: يارب، فاقول: لبيك فأقضي حاجته**)) [١] .

جـــ – ومن قبيلة الأزد أو بلاد جرش (منطقة عسير الحالية) المجاورة لبلاد نجران من الناحيتين الشمالية والغربية ، عدد من رواة الحديث نذكر منهم زهير بن أبي جبل الأزدي [٢] ، الذي روى عنه أنه قال : ((**قال رسول الله ﷺ من ركب البحر حين يرتج فلا ذمة له ، ومن بات على ظهر بيت ليس عليه اجار** [٣] **، فمات فلا ذمة له**)) [٤] . وكذلك ربيعة بن الغاز الجرشي ، وقيل ربيعة بن عمرو ، والاسم الأول هو الأصح [٥]، روى عنه عدد من الرواة مثل : عطية بن قيس ، وعلي بن رباح ، وبشير بن كعب ، وابنه الغاز بن ربيعة، كما روى عنه الحارث بن يزيد الذي يقول أنه قال ، قال رسول الله ﷺ :((**استقيموا ونعما إن استقمتم ، وحافظوا على الوضوء وخير عملكم الصلاة**)) [٦] . ومن رواة الجرشيين يزيد بن عبد الله بن الشخير العامري الجرشي ، ويكنى أبا العلا [٧]، الذي يذكر أنه روى عن الرسول ﷺ فقال: قال رسول الله ﷺ : ((**إن الله تعالى يبتلي العبد فيما أعطاه ، فإن رضي بما قسم له بارك له فيه ، وإن لم يرض بما أعطاه لم يبارك له ، ولم يسعه**)) [٨] .

---

(١) ابن الأثير ، اسد الغابة ، جـــ ٥ ، ص ١١.

(٢) لمزيد عن ترجمة زهير بن أبي جبل ، وقيل اسمه زهير بن عبد الله ، وقيل محمد بن زهير بن أبي جبل ، انظر ابن الأثير ، اســـد الغابة ، جـــ ٢ ، ص ٢٠٧ .

(٣) اجار : أي ليس حوله شيء يحميه من السقوط ، ويقصد بذلك حاجز مثل : الحائط أو السور وما شابهه .

(٤) انظر ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـــ ٢ ، ص ٢٠٧ .

(٥) انظر ترجمته ، ابن الأثير ، اسد الغابة ، جـــ ٢ ، ص ١٧٠ – ١٧١ .

(٦) المصدر نفسه .

(٧) المصدر نفسه ، جـــ ٥ ، ص ١١٦ .

(٨) المصدر نفسه .

هذه نماذج من بعض رواة الأحاديث الذين ينتسبون إلى بلاد نجران وما حولها من عشائر مراد وزبيد المذحجية ، أو من بعض بلاد جرش (منطقة عسير الحالية) المجاورة لأرض نجران من الناحية الشمالية والغربية ويتضح من هذه النماذج عدة أمور نذكر منها :

١ -أن هؤلاء الرواة ليسوا إلا نماذج قليلة جداً من الذين رووا الأحاديث وينتسبون إلى بلاد نجران وما جاورها من البلدان ، مع العلم أن هناك علماء ومحدثين عاشوا ، وربما ولدوا في نجران ثم انتقلوا إلى مواطن عديدة في العالم الإسلامي ، منهم من كان على دين النصرانية ثم دخل الإسلام ، أو منهم من كان يدين بدين الإسلام منذ بداية حياته ، ومن أمثال النصارى الذين اعتنقوا الإسلام ، عبد الله بن عبيد الله بن نجران البصري ، وعبد الرحمن بن أبي نجران الكوفي ، وهما من نصارى نجران اللّذين استوطنا الكوفة منذ عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ ، وقد دخل هاذان العالمان الإسلام على مذهب الشيعة ، وصارا من علمائها في بلاد العراق [١] .

أما علماء المسلمين الذين ولدوا أو عاشوا في نجران لبعض الوقت فهم أيضاً كثر يأتي من بينهم أبو عبد الملك محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري ، الذي ولد في نجران عام (١٠ هـ / ٦٣١ م) ، وكان من المحدثين ، وقد روى عنه كثير من العلماء . وكذلك عبيد الله بن عباس بن الربيع النجراني ، الذي يعد أيضاً من رجال الحديث ، وقد روى عنه محمد ابن بكر بن خالد النيسابوري ، ومن أولئك العلماء أيضاً بشر بن رافع النجراني [٢] .

---

(١) انظر المسري ، ص ٧٩ نقلاً عن قايماز الذهبي ، المشتبه في الرجال اسمائهم وأنسابهم ، جـ ٢ ، ص ٦٣٢ .

(٢) للمزيد انظر المسري ، ص ٧٩ ، نقلاً عن الأكوع ، البلدان اليمانية ، ص ٢٧٦ .

٢ - أن هؤلاء العلماء من المحدثين وغيرهم والذين لهم صلة بالمنطقة موضوع الدراسة لم نعثر لهم على مدونات أو مصنفات تنسب إليهم ، ومن ثم لا يمكن إدراجهم ضمن العلماء من أصحاب الكتب والتصانيف . وللأسف فإن المصادر لم تسعفنا بذكر أحد من علماء نجران يمكن إدراجه ضمن العلماء المصنفين ، ورغم ذلك فهذا لا يعني عدم وجود علماء في الفقه والحديث وغير ذلك من العلوم الشرعية بنجران خلال الفترة موضوع الدراسة ، فقد كان بها من يقوم بالتدريس والتعليم والإفتاء ، وإن كانت أخبارهم لم تصلنا لعدم اهتمام مدوني التراث بتدوينها والتعريف بأشخاصها لانشغالهم بتسجيل ما يدور في الحواضر الإسلامية الكبرى . ولكن مواكبة الأحداث السياسية التي مرت على نجران منذ دخولها الإسلام حتى عصر بني العباس ، ثم استقراء تراجم العلماء وأرباب السياسة والإدارة والقلم الذين قدموا أو خرجوا من نجران خلال تلك العهود إلى جانب وقوع هذه البلاد بين حواضر اليمن في الجنوب والحجاز في الشمال ، وما كان بين تلك الحواضر من علاقات وصلات حضارية متنوعة ، كل هذا يجعلنا واثقين أن بلاد نجران لم تكن في معزل حضاري وفكري وعلمي ، وما نوهنا إليه من أسماء بعض المحدثين ، وإن كان معظمهم عاشوا وقضوا حياتهم خارج نجران ، إلا دليل على أن هذه البلاد لا تخلو من الخصوبة العلمية والفكرية ، والتي اوجدت أو انتسب إليها ، حتى ولو بالنسب ، أمثال هؤلاء العلماء والمحدثين .

٣ - أن أمثال هؤلاء المحدثين الآنفي الذكر نستطيع احتسابهم على بلاد نجران وما جاورها ، وإن كان لم يعش كثير منهم طوال حياتهم في هذه البلاد ، إلا أنهم ينتمون إليها إما بالمولد أو النسب أو المواطنة ، وهذا يجعلنا نضعهم ضمن منظومة علماء هذه البلاد

٣ - الفقه والاتجاهات المذهبية في نجران وما حولها :

الفقه من العلوم الشرعية الهامة التي أخرجت لنا عدداً من المذاهب والاتجاهات العقدية . وعندما نقرأ التاريخ العلمي لجنوب الجزيرة العربية منذ عصر الرسالة إلى نهاية العصر الراشد نجد أن الرسول ﷺ ثم الخلفاء الراشدين من بعده كانوا حريصين على سير الأمور السياسية والحضارية تحت مظلة الشريعة الإسلامية السمحة وكان جميع عمال وقضاة ومحتسبي الدولة الإسلامية الذين أرسلوا إلى نجران وما جاورها من بلدان اليمن ، وتهامة والسراة يؤدون أعمالهم على ما يرام دون أي عقبات تقف في وجوههم ، ولا حوادث تتعرض سبيلهم ، باستثناء فتنة الأسود العنسي التي ظهرت قبيل وفاة الرسول ﷺ ، ثم ما لبثت أن أخمدت ، كذلك بعض العشائر أو الأفراد الذين ارتدوا ، ولكن سرعان ما قضي عليهم أثناء خلافة الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ [١] .

ومع أن النشاطات الحزبية والعقدية التي ظهرت حول الخلافة أيام الخليفة عثمان بن عفان ، وبخاصة خارج شبه الجزيرة العربية ، وعلى وجه التحديد في مصر والعراق ، والتي أدت في نهاية المطاف إلى حصار الخليفة وقتله ، لكننا لم نجد ذكراً ولا نشاطاً ملموساً لمثل هذه الأعمال في نواحي جنوب الجزيرة العربية [٢] . وهناك بعض الروايات التاريخية التي تشير إلى أن كثيراً من أفراد الجيش الإسلامي في تلك الأمصار الإسلامية قد اشتركوا في معاداة الخليفة عثمان ثم قتله ، وإذا سلمنا بصحة هذه الأقوال مثلاً ، فإن ذلك لا يعني انعكاساً للإحساس الداخلي في جميع أنحاء جنوب الجزيرة العربية ، بل نستطيع القول بأنها كانت في منأى عن معترك تلك

---

(١) للمزيد انظر ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٨٥ وما بعدها ، البلاذري ، فتوح ، ص١١٣ ، المسعودي ، التنبيه ، ص ٢٥٦ وما بعدها ، المقدسي ، البدء ، جـ ٥ ، ص ١٥٤ وما بعدها ، السهيلي ، الروض ، جـ ٧ ، ص ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، الكلاعي ، تاريخ الردة ، ص ٨ .

(٢) للمزيد انظر الطبري، جـ ٤، ص ٣٣٠ وما بعدها ، المسعودي ، مروج ، مج ١ ، جـ ٢ ، ص ٣٣٣ – ٣٤٦ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٣ ، ص ٤٩ وما بعدها ، البري ، القبائل العربية في مصر ، ص ٧٥ وما بعدها ، الحديثي ، ص ١٤٥ – ٢٠٢ .

الآراء والفتن التي ابتدأ شرها من مصر والعراق حتى عاصمة الدولة الإسلامية في المدينة المنورة ببلاد الحجاز [١] .

وعندما جاء عهد الخليفة علي بن ابي طالب ، وحدث النزاع بينه وبين معاوية ، نجد أن أهل نجران ، واليمن ، وتهامة والسراة لم ينحازوا بكليتهم إلى أي طرف من الأطراف المتنازعة ، وإنما ظهر فيهم من ناصر علياً ، ومنهم من ناصر معاوية. وكان جل من ناصر علي بن أبي طالب أهل مذحج ، وهمدان، وأرحب ، ويام وجميع هؤلاء كانوا يقطنون نجران وأجزاء أخرى عديدة من بلاد اليمن ، بينما انحازت قبائل يمانية أخرى إلى معاوية ، وحاربت معه في معركة صفين ، ومنها : كندة ، ولخم ، وذو الكلاع ، وعك ، والأشعريون ، وهكذا اشتبكت عشائر وقبائل يمانية مع أخرى مثلها من بلاد اليمن [٢] ، وفي ذلك يقول راجز عك :

يَا وَيْلَ أُمِّ مَذْحِجٍ مِنْ عَكِّ

هَاتِيْكَ أُمُّ مَذْحِجٍ تَبْكِي [٣]

وكان شأن تلك القبائل في ذلك شأن غيرهم من القبائل العربية في الشام ، والعراق ، ومصر كنتيجة لظروفهم وأوضاعهم التي عاشوها أيام تلك الفتن .

وكما كانت بلاد نجران وغيرها من ديار تهامة والسراة واليمن بعيدة عما ذكرناه خلال العقود الإسلامية الأولى ، كانت أيضاً في معزل عن الاضطرابات التي تمخضت بعد ذلك عن أفكار غلاة الشيعة ، ومارقة الخوارج ، وفلسفة الزنادقة ، والرافضة ، والشعوبية ، والمرجئة وغير ذلك من الفرق التي لم يعرفوها ، ولم تصلهم

---

(١) المصادر والمراجع نفسها .

(٢) للمزيد عن تلك الفتن والأحداث ، انظر ، الطبري ، جـ ٤ ، ص ٤٤٢ وما بعدها ، المسعودي ، مروج ، مج ١ ، جـ ٢ ، ص ٤١١ – ٤١٨ ، ابن العربي ، ص ٦١ – ١١٠ ، ابن أعثم ، جـ ٤ ، ص ٥٣ – ٦٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٣ ، ص ٩٨ وما بعدها .

(٣) انظر شرف الدين ، تاريخ الفكر ، ص ٣٦ .

آراؤها السياسية ، واتجاهاتها المذهبية إلا في قرون تالية للعصر الأموي ، وبخاصة عندما نقل إليهم علم الكلام خلال القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي [١] .

ولهذا فإن بلاد نجران وما حولها بقيت بعيدة إلى حد ما عن الصراعات المذهبية التي ظهرت في بعض أجزاء العالم الإسلامي ، كما أن تأثرها المذهبي والفقهي بقيا أيضاً خالصاً من الخلط الذي ساد معظم أنحاء العالم الإسلامي آنذاك ، وبخاصة خلال القرنين الأولين من عصر الإسلام . وكانوا يستخدمون أحكامهم وفقههم الشرعي من تلك الأسس التي رسخها لهم الرسول ﷺ في خطابات عديدة ، ومن أهمها ذلك الكتاب الذي أرسله الرسول ﷺ إليهم مع والي نجران عمرو بن حزم الأنصاري ، الذي أرسله ﷺ خلف وفد نجران [٢] ، والذي يقول عنه ابن خلدون : ((**ثم أتبعهم– يقصد وفد نجران – عمرو بن حزم ، من بني النجار ليفقههم في الدين ، ويعلمهم السنة ، وكتب إليه كتاباً عهد إليه في عهده ، وأمره بأمره ... وهذا الكتاب وقع في السير مروياً ، واعتمده الفقهاء في الاستدلالات**)) [٣] . كما أن الفقهاء والقضاة ورجال العلم الدين رسخوا قدم الإسلام في بلاد نجران ، كانوا جميعهم خريجي مدرسة رسول الله ﷺ .

وعندما بدأت المذاهب الفقية تتشكل ، كان أول مذهب وصل بلاد نجران بحكم التسلسل الزمني هو مذهب أبي حنيفة ، وكذلك مذهب الإمام مالك [٤] . وهذان المذهبان انتشرا في أجزاء عديدة من العالم الإسلامي ، ولكن عند مجيء معمر بن راشد الأزدي إلى بلاد اليمن ، وألف جامعهُ المشهور في السنن ، فصار مستند فقهاء أجزاء كثيرة من جنوب الجزيرة العربية [٥] ، ثم جاء بعده أبو قرة موسى اللحجي الذي كان له

---

(١) انظر شرف الدين ، تاريخ الفكر ، ص ٢٥ وما بعدها ، الشامي ، تاريخ اليمن الفكري ، جـ ١ ، ص ٩ وما بعدها ، شمسان ، ص ١١٨ وما بعدها .

(٢) البلاذري ، أنساب ، جـ ١ ، ص ٥٣٨ – ٥٣٩ ، وللمزيد انظر أبو يوسف ، ص ٧٢ ، ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤١ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٣ .

(٣) ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٣ .

(٤) انظر ، ابن سمرة ، ص ٧٤ ، شرف الدين ، تاريخ الفكر ، ص ٣٦ ، ٤٠ .

(٥) المرجع نفسه ، ص ٣٦ ، وللمزيد انظر ، الشامي ، تاريخ ، اليمن الفكري جـ ١، ص ٢٤ .

الفضل في توسيع علوم السنة وانتشارها في أجزاء عديدة من بلاد اليمن ، وربما أرض نجران والسروات حتى القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي . وبالإضافة إلى هؤلاء العلماء فقد ظهرت في جنوب الجزيرة العربية مذاهب ثلاثة أخرى هي : المذهب الشافعي ، والمذهب الإسماعيلي ، والمذهب الزيدي [١] .

فأما المذهبان الإسماعيلي ، والزيدي فقد ظهرا في أجزاء عديدة من بلاد اليمن ، وبخاصة في صعدة ، وصنعاء ، وبلاد رازح، وأجزاء من بلاد همدان [٢] ، وبالتالي لم يكن لهما ذلك الانتشار الواسع في منطقة نجران وما حولها ، وإنما اقتصر نشاطهما على الأجزاء اليمنية الواقعة إلى الجنوب من نجران ، وكان الأئمة الزيديون من عهد الإمام الهادي إلى الحق في أواخر القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، وخلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، وما بعده من قرون حاولوا نشر مذهبهم بالقوة في بلاد نجران ، ولكنهم لم يفلحوا ، رغم نجاحهم في مد نفوذهم السياسي إلى نجران لبعض الوقت لكنه لم يقدر لهم النجاح الفكري العقدي . ومن الأسباب التي نرجحها والتي وقفت حاجزاً دون انتشار هذين المذهبين الإسماعيلي والزيدي في نجران ربما يعود ذلك إلى بعض الأسباب مثل :

أ - انحراف المذهب الإسماعيلي عن جادة الصواب ، لما سلك دعاته الأوائل في اليمن أمثال : علي بن الفضل ، الذي أعلن الكفر بعد سيطرته على أجزاء عديدة من بلاد اليمن ، وكذلك استباحته كثير من المحرمات ، وخرب الكثير من المساجد ، بل وصل به الأمر إلى أن ادعى النبوة ، وهذه السلوكيات

---

(١) شرف الدين ، تاريخ الفكر ، ص ٣٦ وما بعدها ، الجندي ، الامام الشافعي ، ص ٧٨ ، الزهراني ، بلاد اليمن ، ص ١٨٣ – ١٨٦ .

(٢) شرف الدين ، المصدر السابق ، ص ٣٦ وما بعدها ، الشامي ، المصدر السابق ، جـــ ١ ، ص ١٠٧ ، البلادي ، ص ٢٣٧ وما بعدها .

جعلت كثير من رجال اليمن يقفون في وجهه حتى قتل على يد أمراء بني يعفر [١] . وهذا التصرف من هذا المؤسس لهذا المذهب جعل معظم الناس ينفرون من توجهاته ، فضلاً على أنهم أعلنوا حربه والتصدي له وإن كنا لا نجد دلائل على اتصاله بأهل نجران ونشر معتقداته بينهم ، وذلك ربما يعود إلى البعد الجغرافي بين إقامته في صنعاء وما حولها ، ثم إلى ظهور الأئمة الزيديين في صعدة فكانوا حائلاً بينه وبين أهل نجران .

ب - أما المذهب الزيدي فقد وصل إلى نجران مع الأئمة الزيدية ، ولكن الصراع القبلي بين همدان الذين اعتنقوا وتبني هذا المذهب ، وبين بني الحارث الذين كانوا سادة نجران ، ربما جعل بنو الحارث يقفون في وجه همدان والأئمة الزيدية معهم فيحاربونهم سياسياً وعقدياً ، وإن كان الأئمة الزيديون – كما ذكرنا – استطاعوا مع رجالات همدان أن يدخلوا نجران، وأن تكون الحرب بينهم سجالاً مع بني الحارث ، إلا أنهم لم يرسخوا مذهبهم في نجران ، وإن كانت هناك إشارات تدل على اعتناق بعض النجرانيين للمذهب الزيدي فذلك يعود إلى مصلحة ذاتية وفائدة شخصية قصدوا أن يحصدوا ثمارها من وراء اعتناق هذا المذهب ، ومن ناحية أخرى دخل بعض النجرانيين تحت لواء الدولة الزيدية بالقوة ، لكن هذا الأمر لم يدم طويلاً ، وإنما سرعان ما تنفلت عرى الحزم والشدة من قبل الأئمة الزيديين فتعود الحروب مستمرة بين الطرفين [٢] .

---

(١) للمزيد عن المذهب الإسماعيلي في اليمن ، انظر ، ابن سمرة ، ٧٥ ، الجرافي ، ص ١١١ – ١١٤ ، الواسعي ، ص ١٦٩ – ١٧١ ، شرف الدين ، اليمن ، ص ١٩٧ – ١٩٨ .

(٢) للمزيد عن الدولة الزيدية وائمتها في صعدة ، وصنعاء ، ونجران ، انظر ، الواسعي ، ص ١٧٩ وما بعدها ، شرف الدين ، اليمن ، ٢٤٥ – ٢٦٢ ، الفقي ، ٣٧٨ وما بعدها .

أما المذهب الشافعي فهو المذهب الذي نال القدح المعلى ، والنصيب الأكبر في الانتشار في نجران بل في عموم بلاد اليمن [١] ، ومن أسباب انتشاره في نجران وما حولها ما يلي :

أ - وسطية هذا المذهب الذي جمع بين المذاهب في الأقوال والآراء والاتجاهات، وبخاصة ، فيما ورد عن الإمامين أبو حنيفة النعمان ، ومالك بن أنس ، وهذه ساعدت على انتشار هذا المذهب في أصقاع كثيرة من بلاد المسلمين [٢]

ب - فَسَاد المذهب الإسماعيلي وعدم اتفاقه مع هوى أهل نجران الذين لا زالوا وبخاصة في الفترة الزمنية موضوع الكتاب يتسمون بصفاء المعتقد الذي تعلموه من صحابة رسول الله ﷺ الأول ، أمثال : علي بن أبي طالب ﷺ وغيره من الصحابة الأجلاء الذين ورد ذكر بعضهم في ثنايا هذا البحث .

ج - أن المذهب الزيدي يعد أقرب المذاهب الشيعية إلى مذاهب أهل السنة ، ولهذا إذا دققنا مسائل الخلاف بين المذهبين الزيدي والشافعي ، فإننا نجدها يسيرة ، وهي في مجموعها تقريباً مسائل فرعية اجتهادية لا تمس جوهر الدين في شيء ، ولكن — كما ذكرنا — مسائل العداء المتأصل بين قبيلة همدان في صعدة ، وبني الحارث في نجران يكاد يكون من الأسباب الرئيسة لعدم التوافق والتآلف ، ولهذا فإن النجرانيين كانوا يميلون إلى المذهب الشافعي أكثر من أي مذهب غيره .

---

(١) للمزيد عن الامام محمد بن ادريس الشافعي وانتشار مذهبه في اصقاع عديدة من الأرض ، انظر ، أبو حاتم الرازي ، ص١٢٩ وما بعدها ، الحسين ، غاية ، جـ١ ، ص١٤٤ ، الجندي ، الامام ، ص٧٨ — ٨٠ ، شرف الدين ، تاريخ الفكر ، ص ٤١ وما بعدها ، الفقي ، ص ٣١٨ .

(٢) المصادر والمراجع نفسها .

د - مكوث الشافعي في نجران لبعض الوقت والياً ، وقاضياً ومعلماً ، ربما كان من الأسباب القوية التي جعلت النجرانيين لا يميلون إلى غيره من المذاهب خلال القرون الإسلامية الأولى [١] .

ثالثاً : العلوم اللغوية والأدبية :

١ - اللغة :

مما لا شك فيه أن المستوى اللغوي عند أهل نجران كان جيداً ، وذلك لأن سكان هذه البلاد كانوا من القبائل العربية التي تتكلم العربية الفصحى ، وحتى إن كان يعيش بين ظهرانيهم بعض العناصر غير العربية ، كالفرس ، والأحباش وغيرهم ، إلا أنه لم يكن لهم ذلك التأثير القوي على لغة سكان البلاد الأصليين [٢] ، وربما كثير من تلك العناصر سعوا إلى تعلم اللغة العربية كي تتكيف أمورهم ، ويستطيعوا العيش مع سكان البلاد الرئيسين ، وهم العرب .

ومن يستقرئ مستوى شعراء ، وأدباء ، وحكماء ، وخطباء ، وقادة بلاد نجران ، قبيل وأثناء ظهور الإسلام ، فإنه – بلا شك – سوف يلاحظ مستواهم اللغوي الرفيع [٣]. وهذا المستوى في اعتقادنا استمر خلال العصور الإسلامية المبكرة

---

(١) انظر ، البيهقي ، مناقب ، جـ ١ ، ص ١٠٦ – ١٠٧ ، أبو نعيم ، جـ ٩ ، ص ٧٦ – ٧٧ ، أبو حاتم الرازي ، ص ٣٢ – ٣٣ ، دلال ، ص ٢٨٠ – ٢٨٢ .

(٢) وليس كما نشاهد اليوم في بلاد نجران وغيرها من أجزاء المملكة العربية السعودية ، حيث أصبحت اللغة العربية ضعيفة عند عموم الناس ، حتى الطبقة المتعلمة ، وذلك لما دخل عليها من اللحن واللهجات المختلفة التي بعضها يكون محلية وأخرى قادمة إلى هذه البلاد من الخارج ، إلى جانب انفتاح العالم بعضه على بعض وتأثير وسائل الاعلام كل هذا اثر على تدهور مستوى اللغة العربية ، وإذا لم ينتبه لمثل هذه الأمور ، وبخاصة في المؤسسات التعليمية ، والا فالأمور سوف تزداد سوءاً نحو التقهقر والإنحدار ، انظر ابن جريس ، دراسات ، جـ ١ ، ص ٣١٩ ، حاشية (٦٠) .

(٣) وسوف نذكر نماذج من أولئك الخطباء ، والشعراء ، والحكماء في الصفحات التالية من هذا الفصل .

والوسيطة ، وينهض دليلاً على صحة هذا القول ما حفظه لنا لسان اليمن الحسن بن أحمد الهمداني من معلومات عن الحياة العلمية والفكرية في البلاد الممتدة من نجران جنوباً حتى الطائف شمالاً ، والتي أطلقنا عليها اسم السراة أو السروات [١] ، ويشير فيها إلى الجانب اللغوي عند سكان تلك البلاد في عصره ، ثم يقارنه بالجوانب اللغوية الأخرى عند أهل اليمن والكثير من مناطق شبه الجزيرة العربية ، ويخلص إلى أن أهل هذه البلاد أكثر فصاحة في القول ، وسلامة في اللغة ، حيث يقول : ((... **الفصاحة من العرض في وادعة فجنب فيام فزبيد ، فبني الحارث مما اتصل ببلد شاكر من نجران إلى أرض يام ، فأرض سنحان ، فأرض نهد وبني أسامة فعتر** ...)) [٢] ، ويعدد المواطن الواقعة بين نجران والطائف ، ثم يقول : ((**غير أن أسافل سروات هذه القبائل ما بين سروات خولان والطائف دون أعاليها في الفصاحة** ...)) [٣] .

ورغم ما ذكره الهمداني من معلومات جيدة عن رقي المستوى اللغوي لأهل نجران وما حولها حتى الطائف خلال القرنين (٣ - ٤ هـ / ٩ - ١٠ م) ، إلا أنه للأسف لم يمدنا بمعلومات عن نشاطهم اللغوي والعلمي في بلادهم بصفته عالماً يمنياً كان يمر عبر بلادهم ذاهباً آيباً ما بين الحجاز واليمن ، ولكن في اعتقادنا أنهم لم يصلوا إلى المستوى اللغوي الجيد الذي وصفهم به ، إلا من خلال نشاط علمي وفكري متميز . ونجزم بذلك من خلال مراجعة تاريخ دخول نجران في الإسلام ، وما تعاقب عليها من القوى السياسية ، وما قدم إلى بلادها من الصحابة ﷺ ، ومن العلماء الأجلاء ورجال الدولة الإسلامية خلال القرون الإسلامية الأولى ، فإنه بالتأكيد يدرك مدى ما لهؤلاء

---

(١) للمزيد عن بلاد السروات ، انظر ، الهمداني ، صفة ، ص ١٠٥ وما بعدها ، ابن جريس " بلاد السراة من خلال كتاب صفة ... " ، ص ٧٦ وما بعدها ، للمؤلف نفسه ، دراسات ، جـ ١ ، ص ١٢٩ - ١٦٤ .

(٢) الهمداني ، صفة ، ص ٢٧٩ .

(٣) المصدر نفسه . وعن مستوى الجانب اللغوي والنحوي في بلاد نجران ، انظر : محمود فجال " نظرات نحوية في لغة بني الحارث بن كعب " مجلة العرب ، مج (٢٤) (١٤٠٩ هـ - ١٤١٠ هـ) ، ص ١٦٦ - ١٨٤ .

الرجال من الأثر الطيب على الحياة الحضارية في شتى مناحي الحياة بتلك البلاد ، بما تميزوا به وتفردوا من مواهب علمية وفقهية ولغوية وإدارية .

٢ - الخطابة والخطباء :

إن الخطابة من الفنون الأدبية التي عرفها الإنسان منذ القدم ، وهي أكثر انتشاراً من الشعر ، لسهولة ممارستها وبخاصة من أوتي الجرأة إلى جانب حسن البيان والثروة اللغوية التي يستخدمها الخطيب ، بعكس الشعر الذي لا يستطيع قوله إلا من عنده القريحة الشعرية ، والقدرة على قرض الشعر [١] .

وإذا حاولنا معرفة أهمية الخطابة والخطباء في بلاد نجران خلال فترة دراستنا ، فإننا نحتاج إلى صفحات مطولة لنحصر جميع الرسل ، والولاة الذين أرسلوا إلى نجران منذ عهد الرسول ﷺ ، وكذلك العلماء ، والفقهاء ، وأرباب القلم الذين كانوا يفدون إلى بلاد اليمن ، قادمين من الحجاز ، أو من خارج الجزيرة العربية ، وكذلك بعض الأمراء والقادة والثوار الذين ظهروا في نجران أو في بلاد اليمن ، أو السروات، أو الحجاز ، أو قدموا من حواضر الإسلام الكبرى ليقيموا أو يجتازوا بلاد نجران . وكذلك الوعاظ والأئمة والحكماء ، والمرشدين وغيرهم من أصناف المجتمع الذين يحتاجون إلى الاحتكاك بجمهور الناس لإبلاغهم رسالة ، أو نشر مبدأ ، أو إعلان خبر، أو تنفيذ خطة . كل هؤلاء جميعاً يحتاجون إلى الوقوف بين يدي الناس لإيصال ما يهدفون إليه ، وذلك عن طريق الخطابة ، والحديث إلى الناس كي يصل كل خطيب أو متحدث إلى مآربه وهدفه الذي يريد الوصول إليه .

---

(١) لمزيد من التفصيلات عن فن الخطابة ، انظر محمد عبد المنعم خفاجي ، الحياة الأدبية في عصر بني أمية (القاهرة : الهيئة العامة للكتاب ، د . ت) ، ص ٢٣٢ ، ٢٣٦ ، على محمد حسن ، وزكي سويلم . الأدب وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي (القاهرة ، ١٩٨٥ م) ، ص ٤٥ ، اشرف محمد موسى . الخطابة وفن الإلقاء (القاهرة مكتبة الخانجي د . ت) ص ٧ .

إن مثل هؤلاء الأصناف جميعاً ظهروا في نجران طوال فترة دراستنا ، وإن عملنا على تقصي أخبار هؤلاء جميعاً كل في موقعه الاجتماعي وضمن هدفه الذي يهدف إليه ، فإننا بلا شك نحتاج إلى سِفْرٍ كبير يحتوي تفاصيل هذا الموضوع . وكي نتحاشى مثل هذا الإسهاب ، فإننا نقتصر على ذكر أربعة أمثلة لخطباء وخطيبات عرفتهم بلاد نجران وما حولها ، حتى ذاع صيت بعضهم إلى خارج شبه الجزيرة العربية ، وهؤلاء الأربعة هم :

أ - قس بن ساعدة الإيادي :

قس بن ساعدة ، أسقف نجران ، وكان من القساوسة الذين اعتادوا التردد على أسواق العرب في الجاهلية ، أدركه الرسول ﷺ قبل النبوة ، ورآه بعكاظ ، ومات قبل دخول أهل نجران الإسلام [١] . ويعد قسٌ من أشهر الخطباء ذِكراً ، وأرفعهم قدراً ، حيث روى رسول الله ﷺ من كلامه ، وفي الحديث ((**يرحم الله قساً ، إني لأرجوه يوم القيامة أن يبعث أمة واحدة**)) [٢] . وكان قس من الذين يقفون في الأسواق فيعظون ، ويبشرون ، ويذكرون البعث ، والحساب ، والجنة ، والنار ، وذكر الأصفهاني أن قساً كانت له كثير من الأمور العجيبة [٣]. ويذكر أنه كان له باع طويل في الشعر والخطابة وسائر فنون الكلام [٤]، وقد اجتمع له ما لم يجتمع لغيره من فنون الفصاحة والحكم ، فكان شاعراً ، وخطيباً ، بل يعد خطيب العرب قاطبة [٥] ، ويذكر الأصفهاني ((**أنه أول من علا منبراً وخطب عليه ، وأول من قال في كلامه: أما بعد، وأول من أتكأ عند خطبته على سيف أو عصا**)) [٦] . وكان قس يبشر بالدين

---

(١) الأصفهاني ، الأغاني (طبعة دار احياء التراث ، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية) جـ ١٥ ، ص ٢٤٦ ، الألوسي ، بلوغ ، جـ ٣ ، ص ٥٥ .

(٢) الأصفهاني ، المصدر السابق ، جـ ١٥ ، ص ٢٤٧ ، الألوسي ، جـ ٣ ، ص ٥٥.

(٣) الأصفهاني ، المصدر السابق ، جـ ١٥ ، ص ٢٤٧ .

(٤) المصدر نفسه ، انظر الألوسي ، جـ ٣ ، ص ١٢٢ .

(٥) الأصهاني ، المصدر السابق ، جـ ١٥ ، ص ٢٤٦ .

(٦) المصدر نفسه ، جـ ١٥ ، ص ٢٤٦ .

الإسلامي ويدعو إلى الإيمان به . ويذكر الأصفهاني أنه قال : ((**ما على وجه الأرض دين أفضل من دين قد أظلكم زمانه ، وأدرككم أوانه، فطوبى لمن أدركه فاتبعه ، وويل لمن خالفه**)) [١] ، ثم أنشد يقول :

فِي الذَّاهِبِيْنَ الأوّلِينَ مِنَ الْقُرونِ لَنَا بَصَائِرْ
لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدَاً لِلْمَوتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرْ
وَرَأَيْتُ قَومِي نَحْوهَا يَمْضِي الأَصَاغِرُ والأَكَابِرْ
أَيْقَنْتُ أَنِّي لا مَحَالَةَ حَيْثُ صَارَ القَومُ صَائِرْ [٢]

ونتيجة لذلك ظل أثر قس ماثلاً في نفس الرسول ﷺ بعد بعثته .

ولعل من أهم خطب قس بن ساعدة خطبته التي جاء فيها ((**أيها الناس اسمعوا وعوا ، انظروا ، أذكروا من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، ليلٌ داج ، ونهار ساج ، وسماء ذات أبراج ، ألا إن أبلغ العظات السير في القلوب ، والنظر إلى محل الأموات ، وإن في السماء لخبرا ، وإن في الأرض لعبرا ، مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون ، أرضوا بالمقام ؟ ام تركوا هناك فناموا .**

يا معشر إياد ، أين الأباء والأجداد ؟ أين المريض والعُوَّاد ؟ وأين الفراعنة الشداد، أين من بنى وشيَّد وزخرف ونجَّد، وغرَّه المال والولد ؟ وأين من طغى وبغى ، وجمع فأوعى ، وقال أنا ربكم الأعلى ، ألم يكونوا أكثر منكم أموالاً ؟ وأطول منكم آجالاً)) [٣] .

ومن هذه العبر والحكم يتضح لنا مستوى فكر قس بن ساعدة العلمي والأدبي ، إلى جانب جزالة اللفظ في عباراته ، واستقامة بيانه ، ووضوح أفكاره ومبادئه الرامية لتذكير الناس بيوم الحساب .

---

(١) المصدر نفسه ، جـ ١٥ ، ص ٢٤٧ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه ، جـ ١٥ ، ص ٢٤٧ ، وللمزيد انظر ، إيليا حاوي . فن الخطابة وتطوره عند العرب (بيروت : دار الثقافة ، د . ت) ، ص ٥٣ – ٥٤ .

ب - الحارث بن كعب المذحجي :

الحارث ، وقيل الحرث ، كقس بن ساعدة لم يدرك الإسلام ، وينتمي إلى قبيلة مذحج ، وإلى بني كعب بن الحارث في نجران ، وكان من أفصح خطباء زمانه [١] . ومن أهم خطبه تلك الخطبة التي قالها عندما حضرته الوفاة فنادى بنيه ، حتى اجتمعوا عنده ، ثم قال لهم : ((**يا بنيَّ قد أتت علي ستون ومائة سنة ، ما صافحت بيميني يمين غادر ، ولا قنعت نفسي بحلة فاجر ، ولا بحت لصديق بسر ، وإني لعلى دين شعيب النبي عليه السلام فاحفظوا وصيتي ، وموتوا على شريعتي ... إلهكم فاتقوه يكفيكم المهم من أموركم ، ويصلح لكم أعمالكم** [٢] .

يا بني كونوا جميعاً ، لا تفرقوا فتكونوا شيعاً فتضعفوا ، وإن موتاً في عز ، خير من حياة في ذل وعجز ، وكل ما هو كان كائن ، وكل جمع إلى تباين ، والدهر دربان ، فدرب رخاء ، ودرب بلاء، واليوم يومان ، فيوم حبرة [٣] **، ويوم عبرة ، والناس رجلان ، فرجل معك ، ورجل عليك ، وتزوجوا الأكفاء ، وليستعملن في طيبهن الماء ، وإياكم والورهاء ، أي الحمقاء فإنها أدوا الداء ، وتجنبوا الحمقاء فإن ولدها إلى أفن ما يكون** [٤] **. وإذا اختلف القوم مكنوا عدوهم منهم ، وآفة العدد اختلاف الكلمة ... وقطيعة الرحم تورث الهم ، وانتهاك الحرمة يزيل النعمة ، وعقوق الوالدين، يعقب النكد ، ويمحق العدد ، ويخرب البلد**)) [٥].

---

(١) الألوسي ، بلوغ ، جـ ٣ ، ص ١٦٤ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) حبرة : فرح وسرور ، الألوسي ، جـ ٣ ، ص ١٦٤ .

(٤) الأفن : النقص ، ورجل أفين ومأفون ، أي ناقص العقل . وفي حديث علي ﷺ ((اياك ومشاورة النساء فإن رأيهن إلى أفن)) وفي حديث عائشة قالت لليهود : ((عليكم اللعنة والسام والأفن))، انظر ، ابن منظور ، جـ ١ ، ص١٦٧، فعل (أفن) ، وللمزيد انظر، جواد علي ، جـ ٤ ، ص٦٤٠ ، العلي ، محاضرات ، جـ ١ ، ص١٤٢.

(٥) الألوسي ، جـ ٣ ، ص ١٦٤ .

جـ - عمرو بن معد كرب الزبيدي المذحجي [١] :

عاش عمرو ، الملقب بأبي ثور ، في الجاهلية ما بين منطقتي نجران وجرش (منطقة عسير حالياً) ، أدرك الإسلام ودخله ثم ارتد عنه وانضمَّ إلى الأسود العنسي، ثم عاد إلى الإسلام مرة أخرى ، وحسن إسلامه ، وانضمَّ إلى الجيوش الإسلامية التي ذهبت لفتح بلاد فارس ، فكان مجاهداً وخطيباً وشاعراً مع المسلمين هناك ، بل كان في بعض الأحيان مستشاراً لقائد جيش القادسية ، سعد بن أبي وقاص ﷺ [٢] .

يعد عمرو من أشهر فرسان العرب وشعرائهم المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام ، ومن سادات جنوب الجزيرة العربية ، كان يفد على الملوك قبل الإسلام ، والخلفاء بعد الإسلام ، وقد هيأت له خلائقه الجسمانية ذلك ، حتى كان عمر بن الخطاب إذا رآه يقول : ((الحمد الله الذي خلقنا وخلق عمراً !)) تعجباً من عظم خلقته [٣] .له أخبار وخطب وأشعار كثيرة حوتها كثير من كتب الأدب [٤] .

---

(١) عمرو بن معد كرب الزبيدي لا يعد من أهل نجران ولكن أدرجناه ضمن خطباء وشعراء أهل نجران لأسباب عديدة منها :

أ- عمرو من مشاهير فرسان وشعراء جنوب الجزيرة العربية وينتمي إلى عشيرة زبيد المذحجية المجاورة لأهل نجران من الشمال ، وكان لقبيلتي بنو الحارث في نجران وزبيد في بلاد تثليث وما حولها حروب وأخبار عديدة في كتب التراث الإسلامي . وكان له مشاركاته الفاعلة في هذه الأعمال سواءً في الجاهلية والإسلام .

ب- كما أن عمرو في فترة الإسلام ، وأثناء انضمامه للأسود العنسي ، عينه الأخير نائباً له على البلاد الممتدة من نجران إلى عسير إلى أجزاء أخرى من بلاد السراة ، وله أقوال وأشعار أثناء تلك الفترة ، لكنه لم يبق طويلاً في ارتداده وعاد إلى الإسلام وخرج مع المجاهدين إلى بلاد فارس فكان له أشعار وحكم وخطب عديدة يحث فيها قومه من مذحج ومن عموم المسلمين على محاربة الفرس والعمل على هزيمتهم .

(٢) للمزيد عن ترجمة عمرو بن معد كرب الزبيدي ، انظر ، ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص٢٤٠ – ٢٤٢ ، ابن عبد ربه ، جـ ١ ، ص ٨٦ ، ١٠٥ ، ١٠٩ – ١١٠ ، ١٢٤ ، ١٣٦ ، ٢٧٥ ، ٢٨٦ ، ٣١٨ . المسعودي ، مروج ، مج ١ ، جـ ٢ ، ص ٣٢٤، الطبري ، جـ ٣ ، ص ٥٧٦ ، ابن أعثم ، جـ ١ ، ص ٢٧١ وما بعدها ، الأصفهاني ، المصدر السابق، جـ ١٥ ، ص ٢٠٨ وما بعدها، الجاسر، التعليقات ، جـ ٢ ، ص ٧٦٨ ، ٧٧٣ ، ٨٣٦ ، ٩٨٤ .

(٣) الأصفهاني ، المصدر السابق ، جـ ١٥ ، ص ٢١٣ .

(٤) المصدر نفسه ، جـ ١٥ ، ص ٢٠٨ – ٢٣٠ ، وللمزيد انظر ابن قتيبة ، الشعر ، ص ٢٤٠ – ٢٤٢ ، ابن عبد ربه ، جـ ١ ، ص ١٠٩ – ١١٠، ٢٧٥، ٢٨٦، ٣١٨، ابن أعثم ، جـ ١ ، ص ٢٧١ وما بعدها ، المسعودي ، مروج ، مج ١ ، جـ ٢ ، ص ٢٤٢ ، الجاسر ، التعليقات ، جـ ٢ ، ص ٧٦٨ . كما قام بجمع شعره هاشم الطعان في بغداد . وكذلك مطاع الطرابيشي من دمشق، قام هو الآخر بجمع شعره، وطبع في كتاب بمجمع اللغة العربية في دمشق ، عام (١٣٩٤ هـ) .

ونحن في هذه الدراسة نكتفي بإيراد أربعة أمثلة من خطبه التي قالها في مناسبات مختلفة ، مع العلم أن فروسيته ، وموهبته الشعرية جعلته مشهوراً بهاتين الصفتين أكثر من أي صفة أخرى .

المثال الأول : يذكر أن عمر بن الخطاب قال لعمرو بن معد كرب : صف لنا الحرب ، فقال عمرو بن معد : ((**هي مُرّةُ المذاق ، إذا كشفت عن ساق ، ومن صبر فيها عُرف ، ومن نكل عنها تلف ، ثم يقول :**

الحَرْبُ أوَّلَ مَا تَكُونُ فَتِيَّةً تُسْهِى بِزِيْنَتِهَا لِكُلِّ جَهُولِ
حَتَّى إِذَا حَمِيَتْ وَشَبَّ ضِرَامُهَا عَادتْ عَجُوزاً غَيْرَ ذَاتِ حَلِيلِ
شَمْطَاءَ جَزَّتْ رَأْسَهَا وَتَنَكَّرَتْ مَكْرُوهَةً لِلشَّمِّ وَالتَقْبِيلِ)) [1]

المثال الثاني : كان عمرو بن معدي كرب يحث المسلمين على مقاتلة الفرس ، ويرفع من معنوياتهم ، وله خطب وأقوال عديدة ذكرها كتب التاريخ [2] ، فمن خطبه في إحدى المعارك أن قام بين جيش المسلمين وقال : ((**يا معشر المسلمين لعله قد هالتكم هذه الكتيبة ؟ قالوا : نعم والله يا أبا ثور لقد هالتنا ! وذلك أنك تعلم أنا نقاتل هؤلاء القوم من وقت بزوغ الشمس إلى وقتنا هـذا ، فقد تعبنا وكلت أيدينا ودوابنا ، وكاعت رجالنا ، وقد والله خشينا أن نعجز عن هذه الكتيبة ، إلا أن يأتينا الله بغياث من عنده ، أو نرزق عليهم قوة ونصراً ، فقال عمرو يا هؤلاء إنكم إنما تقاتلون عن دينكم ، وتذبون عن حريمكم ، وتدفعون عن حوزة الإسلام ، فصفوا خيولكم بعضها إلى بعض ، وانزلوا عنها ، والزموا الأرض واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، فإنكم بحمد الله صبراء في اللقاء ، ليوث**

---

(١) ابن عبد ربه ، جـ ١ ، ص ٨٦ .

(٢) للمزيد عن كثير من خطب عمرو الزبيدي وتشجيع المسلمين على محاربة الفرس، انظر ، الطبري ، جـ٣ ، ص٥٧٦ ، المسعودي ، مروج ، مج ١ ، جـ ٢ ، ص٣٢٤ ، ابن اعثم ، جـ ١ ، ص ٢٧٧ ، ابن جريس ، دراسات ، جـ ١ ، ص٧٦ – ٧٧ ، ٨٩ – ٩٠ .

عند الوغى ، وهذا يوم كبعض أيامكم التي سلفت ، ووالله اني لأرجو أن يعز الله بكم دينه ويكبت بكم عدوه ...)) [١] .

المثال الثالث : لما فتحت القادسية على يد سعد بن أبي وقاص ، أبلى فيها عمرو بن معد كرب بلاءً حسناً ، فأوفده سعد على الخليفة عمر بن الخطاب ، وكتب إليه معه يبشره بالفتح ، وأثنى في الكتاب على عمرو ، فلما قدم على عمر بن الخطاب سأله عن سعد ، فقال ((**أعرابي في نمرته ، أسد في تأمورته ، نبطي في جبايته ، يقسم بالسوية ، ويعدل في القضية ، وينفل في السرية ، وينقل الينا حقنا نقل الذرة ، فقال عمر بن الخطاب : لشد ما تقارضتما الثناء ...))** [٢] .

المثال الرابع : وفي باب الجبن والفرار قال عمرو بن معد كرب : ((**الفزعات ثلاث : فمن كانت فزعته في رجليه فذلك الذي لا تُقله رجلاه ، ومن كانت فزعته في رأسه فذلك الذي يفر من أبويه، ومن كانت فزعته في قلبه فذلك الذي يقاتل ...))** [٣] .

د - كذلك كان للمرأة النجرانية دورها في الحياة الفكرية ، فقد أمدتنا المصادر بأسماء بعض النجرانيات اللائي أدلين بدلوهن في مجال الأدب ، وحفظت لنا كتب التراث بعض نتاجهنَّ ، ومن بين من برعن في الخطابة والشعر مثل :

(*) أم سنان بنت خيثمة المذحجية :

فأم سنان المذحجية جاءت إلى مروان بن الحكم والي معاوية بن أبي سفيان على المدينة ، فطلبته إطلاق حفيدها من جناية قد جناها فرفض طلبها ، وأغلظ لها في القول فخرجت إلى الشام لمقابلة الخليفة معاوية ، وعند مقابلته انتسبت فعرفها ، فقال

---

(١) المصادر والمراجع نفسها .

(٢) ابن عبد ربه ، جـ ١ ، ص ٣١٨ ، ذكرت هذه الرواية عند الأصفهاني مع تغيير طفيف في الألفاظ ، انظر ، الأغاني (طبعة احياء التراث) جـ ١٥ ، ص ٢٢٣ .

(٣) ابن عبد ربه ، جـ ١ ، ص ١٢٤ .

لها : ((مرحباً يا بنت خيثمة ، ما أقدمك أرضنا ، وقد عهدتك تشتميننا وتحضين علينا عدونا ؟ قالت : إن لبني عبد مناف أخلاقاً طاهرة ، وأعلاماً ظاهرة ، وأحلاماً وافرة ، لا يجهلون بعد علم ، ولا يسفهون بعد حلم ، ولا ينتقمون بعد عفو ، وإن أولى الناس باتباع ما سن آباؤه لأنت ، قال صدقت ، نحن كذلك فكيف قولك : [١]

عَــزَبَ الرُّقَادُ فَمُقْلتِي لاَ تَرْقُدُ ... واللَّيلُ يَصْدُرُ بِالهُمُومِ وَيُورِدُ
يَا آلَ مَذْحِجَ لاَ مُقَامَ فَشمّرُوا ... إنّ العَدُوَّ لآلِ أَحْمَــدَ يقْصِدُ
هَذَا عَليٌّ كَالهِــلالِ تَحُفُّــهُ ... وَسَطَ السَّمَاءِ مِنَ الكَوَاكِبِ أسعُدُ
خَيرُ الخَلائقِ وَابْنُ عَمِّ مُحَمَّد ... إنْ يَهْدِكُمْ بِالنُورِ مِنْهُ تَهْتَدُوا
مَازَالَ مُذْ شَهِدَ الحُرُوبَ مُظَفَّراً ... وَالنّصْرُ فَوقَ لِوائِهِ مَا يُفْقَدُ [٢]

قالت : كان ذلك يا أمير المؤمنين ، وأرجوا أن تكون لنا خلفاً بعده)) .

ودارت نقاشات أخرى عديدة بين أم سنان المذحجية والخليفة معاوية ، وعلى إثرها أعطاها طلبها ، ثم أمر بإطلاق حفيدها وأعطاها بعض الأعطيات ، وزودها براحلة تعود عليها إلى بلادها [٣].

ويتضح لنا من ذكر هؤلاء النماذج الأربعة في فن الخطابة ، عدد من الأمور نذكر منها :

١ - انتماء أصحاب هذه النماذج إلى بلاد نجران وما حولها ، ومنهم من عاش في فترة ما قبل الإسلام ، ولم يدرك ظهوره ، ومنهم من عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام ، وشارك في الفتوحات الإسلامية أمثال ، عمرو بن معدي كرب الزبيدي . وظهور هؤلاء الأشخاص يعطينا دليلاً قوياً على وجود مناخ علمي وفكري جيد ساعد على إخراج مثل هذه المستويات الراقية

---

(١) ابن عبد ربه ، جـ ١ ، ص٣٤٩ .
(٢) المصدر نفسه ، جـ١ ، ص ٢٥٠ .
(٣) المصدر نفسه ، جـ١ ، ص ٢٥٠ – ٢٥١.

العلمية واللغوية والخطابية ، ناهيك عن تربة بعضهم الدينية وبخاصة من عاش في الجاهلية أمثال : قس بن ساعدة الإيادي ، والحارث بن كعب المذحجي ، فلقد لاحظنا صفاء معتقداتهما ، وبعدهما عما كان يعبد أهل عصرهما من أصنام وأوثان وغير ذلك من المعتقدات الوضعية .

٢ - رقي المستوى اللغوي في عبارات واستشهادات وأقوال أصحاب هذه النماذج ، مما جعلنا ندرجهم أمثلة لمستوى الخطابة والخطباء الذين عرفتهم بلاد نجران ، مع العلم أنهم لا يمثلون إلا شريحة بسيطة من أصحاب القول والفكر والثقافة الذين قدموا إلى بلاد السروات ، وتهامة ، ونجران ، وعموم بلاد اليمن . فهناك كثير من الصحابة والتابعين ، وتابعي التابعين الذين جاءوا وعاشوا بين ظهراني أهل نجران وغيرهم من سكان جنوب الجزيرة العربية . وقد حفظت لنا كتب التراث الإسلامي كثير من أقوالهم وخطبهم وأفعالهم في نجران وغيرها من أجزاء العالم الإسلامي ، وتأثر هذه المناطق التي قدموا وعاشوا بها فترة من الوقت فكرياً وعلمياً بهم [١] .

٣ - ربما لكون نجران موطناً للعديد من الديانات السماوية والوضعية ، وكذلك استيطان العديد من الأقوام البشرية العربية وغير العربية بها فقد أثر ذلك في مستوى الناس وفكرهم ، وبخاصة أصحاب العلم والثقافة منهم . وهذا يتضح في أقوال وعبارات قس بن ساعدة ، والحارث بن كعب المذحجي ، اللذين كانا يخطبان في الناس ناصحين لهم باتباع المنهج القويم في عبادة الله وحده لا شريك له . وهذا لا يتم إلا من خلال مجتمعاتهم التي كانوا يعيشون فيها ، ونجران كانت تعج بالصراعات السياسية والتيارات العقدية المختلفة ، مما ساعد على ازدهار البيئة الفكرية بها ، وقد استقرت أحوالها بظهور الإسلام ،

---

(١) للمزيد عن براعة هؤلاء الرجال في أقوالهم وخطبهم وحكمهم ، انظر ، كتب التراجم المبكرة والرئيسة التي حفظت الكثير من تاريخهم ، بالإضافة إلى كتب التاريخ والأدب والأنساب التي لا تخلو هي الأخرى من بعض التفصيلات عنهم .

ودخول معظم أهل نجران فيه ، فازداد تآلفهم الفكري والعقدي بهذه الديانة السماوية الخاتمة بعد أن كان الجدل الفكري والعقدي يحتدم بينهم لكونهم على عقائد ومذاهب دينية شتى ما بين سماوية ووضعية .

٣ - الشعر والشعراء :

يعد الشعر موهبة إنسانية عامة ، لا تختص بقوم دون قوم ، ولا بأمة دون أمة ، بل هي نتاج قرائح كل موهوب من القبائل [١] . والشعر شعور ، وتعبير عن عواطف تخالج النفس ، فكل إنسان يكون عنده حس مرهف واستعداد طبيعي ، يمكن أن يكون شاعراً [٢] .

وقد اشتهرت بلاد نجران وما جاورها من البلدان بطائفة من الشعراء ، قبل الإسلام وبعده [٣] ، ولا تزال آثارهم حتى اليوم تشهد على ما بلغ الأدب من منزلة جيدة في هذه البلاد . ومع أننا لن نستطيع الإلمام بجميع ما خلفته لنا المصادر على تنوعها وتعددها عن شعر وشعراء نجران خلال فترة البحث فهذا الأمر يحتاج لدراسة قائمة بذاتها لنوفي الموضوع حقه ، وقد يمد الله في العمر (بإذن الله تعالى) فنقوم بجمع شعر وشعراء بلاد نجران خلال عصري الجاهلية والإسلام . أما ما سوف نذكره في هذا الفصل ، فهو بعض النماذج من شعر وشعراء فترتنا ، مع الحرص على التنويع في إبراز الأهداف والغايات التي قصدها الشعراء أثناء قرضهم أشعارهم ، حيث نظموا في أبواب

---

(١) جواد علي ، جـ ٩ ، ص ٣٥٠ .

(٢) المرجع نفسه .

(٣) هناك عدد من الشعراء المشاهير الذين ظهروا في نجران وما حولها في العصر الجاهلي ولم يدركوا الإسلام ، أمثال : الأفوه الأودي المذحجي ، وعبد يغوث بن الحارث بن وقاص بن صلاءة ، ويزيد بن مخرم الحارثي ، وغيرهم كثير . انظر ، ابن قتيبة ، الشعر ، ص ١٣٤ ، ابن عبد ربه ، جـ ١ ، ص ١١ ، جـ ٦ ، ٧٩ وما بعدها ، وللمزيد انظر فواد سزكين ، تاريخ التراث العربي ، مج ٢ (الشعر) ، جـ ٢ (الشعر الجاهلي . نقله إلى العربية محمود فهمي حجازي ، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية (١٤٢٣ هـ / ١٩٨٣ م) ، ٣٣٧ – ٣٤٩ .

عديدة ، مثل : المدح ، والهجاء ، والرثاء ، والحنين ، وتبادل الرسائل الأخوية أحياناً بواسطة الشعر ، وأبواب أخرى سوف يرد معنا نماذج لها .

وقد قسمنا الشعراء ونماذج الشعر الذي قرضوه وورد في هذه الدراسة إلى قسمين أو فترتين زمنيتين ، هما :

القسم الأول : فترة ما قبل الإسلام بقليل ، ثم أثناء عصر الرسالة ، وخلافة أبو بكر الصديق ﷺ . ونلاحظ على النماذج الشعرية التي أوردناها رغم قلتها أنها تعكس لنا بعض الملامح التاريخية لبلاد نجران وما حولها منذ جاهليتهم إلى آخر عصر الردة .

القسم الثاني : شعراء نجران في فترة الفتوحات الإسلامية إلى (ق٣ هـ) ويمكننا ملاحظة التنوع من خلال النماذج الواردة في مقاصد الشعر وغاياته في تلك الفترة .

أولاً : نماذج من شعر وشعراء القسم الأول :

ويأتي على رأس قائمة شعراء هذه الفترة :

١ – الأعشى : وهو ميمون بن قيس بن جندل من بني قيس بن ثعلبة الوائلي ، المعروف بأعشى قيس ، ويقال له الأعشى الكبير ، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية ، وأحد أصحاب المعلقات ، كان كثير الوفود على الملوك من العرب والفرس، كان غزير الشعر ، وكان يُغني بشعره فسمي ((صنّاجة العرب)) . لقب بالأعشي لضعف بصره ، وعمي في أواخر عمره ، ووفاته في عام (٧ هـ / ٦٢٩ م) ، ولم يدخل الإسلام ، ودفن في بلدته " منفوحة " باليمامة قرب مدينة الرياض ، وفيها داره، وبها قبره [١] . وهذا الشاعر كان من الوافدين على بني الحارث بن كعب في نجران فيجالسهم ، ويمدحهم ، ويحصل على أعطياتهم . ومما قال فيهم من الشعر قوله :

---

(١) للمزيد عن حياة الأعشى وشعره ، انظر ، الجمحي ، طبقات ، جـ١ ، ص ٦٥ وما بعدها ، الأصفهاني ، الأغاني (طبعة دار احياء التراث) جـ ٩ ، ص ١٠٨ – ١٢٩ ، ابن قتيبة ، الشعر ، ص ١٥٩ – ١٦٥ ، الزركلي ، جـ ٧ ، ص ٣٤١ . وقد جمع بعض شعر الأعشى في ديوان سمي ((الصبح المنير في شعراء ابي بصير)) ، وترجم المستشرق الألماني ، جايير (Geyer) بعض شعره إلى اللغة الألمانية . الزركلي ، المرجع نفسه ، جـ ٧ ، ص ٣٤١ .

وَكَعْبَةُ نَجْرانَ حَتْمٌ عَلَيــكَ حَتَّى تُنَــاخِــي بِأَبْــوابِهَــا
تَزُورُ يزِيداً وَعَبْدَ المسيحِ وَقَيْساً هُــمُ خَيرُ أَرْبَابِــهَا
إِذَا الحِبَرَاتُ تَــلَوَّتْ بِهِمْ وَجَــرُّوا أَسَافِــلَ هُدَّابِــهَا
وَشَاهِدُنَا الوَرْدُ وَالياسَميــ ــنُ ، والمُسْمِعَاتُ بِقُصَّابِهَــا
وَبَرْبَطُنَــا مُعْمِــلٌ دَائِــمُ فَأَيُ الثَلاثَةِ أَزْرَى بِها ؟ (١)

٢- **عبد الله بن قيس بن عدي القرشي السَّهمي** ، المعروف بابن الزِّبَعْرَى ، **وهبيرة بن أبي وهب المخزومي** (٢) وهذان الرجلان قرشيان ، عاديا رسول الله ﷺ وبخاصة ابن الزبعري ، الذي يعد من أشهر شعراء قريش ، وكان شديداً على المسلمين . وعند دخول الرسول ﷺ مكة المكرمة هرباً حتى دخلا نجران ، ويقول الواقدي عنهما: ((**فلم يأمنا من الخوف حتى دخلا حصن نجران ، فقيل لهما ما وراءكما ؟ قالا : أما قريش فقد قتلت ، ودخل محمد ﷺ مكة ، ونحن والله نرى أن محمداً سائر إلى حصنكم هذا !**)) .

وقد بقي هاذان القرشيان في نجران حتى أرسل ، شاعر الرسول ﷺ حسان بن ثابت أبياتاً إلى ابن الزبعري يهجوه بها ، وفيها يقول :

لا تَعْدَمَنْ رجلاً أَحَلَّكَ بُغْضهُ نَجْرانَ في عَيشٍ أَخَذَّ لَئِيمِ (٣)
بَلِيَتْ قَنَاتُكَ في الحُروبِ فأُلقِيَتْ خَمانةً خَوفاءَ (٤) **ذاتَ وُصُومِ** (٥)
غَضَبَ الإلهُ عَلَى الزِّبَعْرَى وابنِه وَعَذَابُ سُوءٍ في الحياةِ مُقِيمِ (٦)

---

(١) ياقوت ، جـ ٢ ، ص ٥٣٨ - ٥٣٩ ، جـ ٥ ، ص ٢٦٨ .

(٢) هبيرة بن أبي وهب زوج أم هاني بنت أبي طالب ، الواقدي جـ ٢ ، ص ٨٤٧ ، وللمزيد عن ترجمة هـذين الـرجلين ، انظر ، الواقدي ، جـ ٢ ، ص ٨٤٧ - ٨٤٩ ، البلاذري، أنساب ، جـ ١ ، ص ٣٦٢ ، ابن هـشام ، الـسيرة ، جـ ٤ ، ص ٦١- ٦٢ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ٦٤ ، ابن حجر ، الاصابة ، مج ٢ ، جـ ٤ ، ص ٦٨ .

(٣) الأخذ : هو القليل المنقطع .

(٤) خَوفاء : أي ضعيفة .

(٥) الوصوم : وهو العيب في الحسب .

(٦) انظر الواقدي، جـ ٢ ، ص ٨٤٧ ، والبيت الأول ذكر عند كل من ابن هشام، جـ ٤ ، ص ٦١ ، والطبري ، جـ ٣ ، ص ٦٤ .

وعندما وصل ابن الزِّبَعْرَى شعر حسان ترك بلاد نجران وعاد إلى الحجاز معلناً إسلامه بين يدي الرسول ﷺ . أما هبيرة بن أبي وهب فلقد فاجأه ابن الزبعري عندما عزم على الرجوع إلى الحجاز ، وقال له : ((**ياليت أني رافقت غيرك ، والله ما ظننت أنك تتبع محمداً أبداً ! قال ابن الزبعري : هو ذاك ، فعلى أي شيء نقيم مع بني الحارث بن كعب ، وأترك ابن عمي وخير الناس وأبرهم**)) [١] .

وبقي هبيرة بن أبي وهب في بلاد نجران حتى مات على كفره ، وقد بلغه أن زوجته هند بنت أبي طالب ، والملقبة بـــ ((أم هاني)) ، دخلت الإسلام يوم الفتح ، فقال فيها شعراً وهو في نجران ، منه [٢] :

أَشَاقَتْكَ هندٌ أَمْ ناكَ [٣] سُؤالُها ... كَذَاكَ النَّوى أَسْبَابُها وانفتالُهَا [٤]

وَقَد أَرَّقَتْ [٥] في رَأسِ حِصْنٍ مُمَنَّعٍ ... بنَجرانَ يَسري بَعْدَ لَيْلٍ خَيالُهَا

وإنِّيَ مِنْ قَومٍ، إذَا جَدَّ جِدُّهمْ ... عَلَى أَيِّ حَالٍ أَصْبَحَ اليَومَ حَالُهَا

وَإِنِّي لَحَامٍ مِنْ وَرَاءِ عَشيرَتِي ... إذَا كَرِهَتْ نَحْوَ العَوالي فِحالُها [٦]

وَإِنَّ كَلاَمَ المرْءِ في غَيرِ كُنْهِهِ ... لَكَالنَّبْلِ تَهْوي لَيْسَ فِيهَا نِصَالُهَا

وَإِنْ كُنْتَ قَدْ تَابَعْتَ دِينَ محمدٍ ... وَقَطَّعَتِ الأَرْحَامَ منْكَ حِبالُهَا

فَكُوني عَلى أَعْلى سَحِيقٍ بِهَضْبَةٍ ... مُلَمْلَمَةٍ [٧] حَمْرَاءَ يَبْسٍ تِلاَلُهَا [٨]

---

(١) الواقدي ، جـ ٢ ، ص ٨٤٨ .

(٢) المصدر نفسه ، جـ ٢ ، ص ٨٤٩ . في حين أن الطبري ذكر البيت الأول فقط ، جـ ٣ ، ص ٦٤ ، أما ابن هشام فقد أورد من قصيدة هبير يذم فيها زوجته أم هاني اثنى عشر بيتاً ، السيرة ، جـ٤ ، ص ٦٢ – ٦٣ .

(٣) نآك : أي بعد عنك

(٤) انفتالها : تقلبها من حالة إلى حالة .

(٥) أرقت : أزلت النوم .

(٦) الفحال : جمع الفحل .

(٧) الململمة : المستديرة .

(٨) انظر الواقدي ، جـ ٢ ، ص ٨٤٩ .

٣ – **عبد الله بن الحرث الحارثي** ، وهو عبد الله بن الحرث بن الريان الحارثي من بني الحارث بن كعب ، دخل هو وقومه الإسلام ، وعملوا على التمسك بالحلال والابتعاد عن الحرام ، يذكر ذلك شعراً فيقول :

وَنَحْنُ بَحَمْدِ الله هَامَةُ مَذْحِجٍ بَنَو الحَرْث الخَيرِ الذَّيْنَ هُمُ مَدَرْ [١]
وَنَحْنُ عَلى دِينِ النَّبِيِّ نَرَى الَّذِي نَهَانا حَرَامَاً مِنْهُ وَالأَمْرُ مَا أَمَرْ [٢]

٤ – **كرز ويقال : (كوز) بن علقمة النجراني** ، وكرز بن علقمة الحارثي النجراني أخو أبو الحارث بن علقمة أحد قساوسة نجران ، بل أسقف نصارى نجران وزعيمهم الروحي [٣] . وكان كرز عضواً في وفد نصارى نجران الذين قابلوا الرسول ﷺ ، ولكن في الطريق حدثت بينه وبين أخيه أبو الحارث خلافات حول صدق نبوة الرسول ﷺ ، وبالتالي تبين له صحة رسالته ﷺ ، بشهادة أخيه أسقف نصارى نجران (أبو الحارث) فانفصل عن بقية الوفد وذهب في رحلته متجهاً نحو المدينة [٤] وهو يرتجز ويقول :

إِلَيْكَ يَغْدُو قَلِقاً وَضِينُهَا مُعْتَرِضاً في بَطْنِهَا جَنِينُهَا
مُخالِفاً دِينَ النّصَارى دِينُهَا [٥]

٥ – **راشد بن عبد ربه السلمي** ، أورد ابن حجر ترجمته ، وذكر نقلاً عن المرزباني في معجم الشعراء أنه كان اسمه ((غويا)) فسماه الرسول ﷺ راشداً [٦] . ويذكر ابن

---

(١) مدر : أي أفهم أهل حواضر .
(٢) السومحي ، جـ ١ ، ص ٨٦ – ٨٧ .
(٣) انظر ، ابن سعد ، جـ ١ ، ص ١٦٤ – ١٦٥ ، ٣٥٧ ، ابن حجر ، الاصابة ، مج ٣ ، جـ ٥ ، ص ٢٩٩ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٤٧ .
(٤) المصادر نفسها ، وللمزيد عن مسيرة وفد نصارى نجران ، وما حدث بين أسقف نجران ، وأخوه كرز ، انظر ، ابن كثير ، التفسير ، جـ ١ ، ص ٣٧٦ ، الذهبي ، تاريخ ، جـ ١ ، ص ٥٨٧ .
(٥) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ١٦٥ ، ابن حجر ، الإصابة ، مج ٣ ، جـ ٥ ، ص ٢٩٩ .
(٦) ابن حجر ، الإصابة ، مج ١، جـ ٢ ، ص ١٨٥ .

عبد ربه أن الرسول ﷺ استعمل أبو سفيان بن حرب على نجران فولاه الصلاة والحرب ، ووجه راشد بن عبد ربه السلمي أميراً على القضاء والمظالم [١] ، وكان بدوره شاعراً موهوباً ، فمن شعره الذي نظمه وهو قائم على أمر القضاء والمظالم بنجران ما يلي :

ضَحَا الْقَلبُ عَنْ سَلْمَى وأقْصرَ شَأْوهُ ... وَرَدّتْ عَلَيْـــه مَا نَفَتْهُ تُمَاضِرُ
وَحَكَّمهُ شَيْـــبُ القَذَالِ عَن الصِّبَا ... وَللشَّيبُ عَنْ بَعْضِ الغَوَايَةِ زاجِرُ
فَأقْصَرَ جَهْلِي الْيَومَ وارتَدّ بَاطِلي ... عَنْ الجَهْلِ لما ابْيَـــضّ مِنِّي الغَدَائرُ
عَلَى أَنَّهُ قَـــدْ هَاجَهُ بَعْدَ صَحْوَةٍ ... بِمَعْرِض ذِي الآجَامِ عِيْسٌ بَواكِرُ
وَلَمَّا دَنَتْ مِنْ جَانِبِ الغُوطِ أَخصَبَتْ ... وَحَلَّتْ وَلاَقَـــاهَا سَلِيمٌ وَعَامِرُ
وَخَبَّرَها الرُّكْبانُ أَنْ لَيْسَ بَيْنَها ... وَبَيْنَ قُرَى بُصْرَى وَنَجْرانَ كَافِرُ
فَأَلْقَتْ عَصاهَا وَاسْتَقَرَّتْ بِهَا النَّوَى ... كَمَا قَرَّ عَيْناً بالإيَـــابِ المُسَافِرُ [٢]

٦ - **عمير بن الحصين النجراني** ، أحد رجالات نجران ، ويذكر عن ابن إسحاق أنه لما مات الرسول ﷺ وتسارع الناس ومنهم بعض أهل نجران إلى الردة قام عمير في قومه ، وأخذ يحثهم على التمسك بهدى الله ، وينـــصحهم ألا يعـــودوا إلى الشرك بعد اليقين والإقرار بالتوحيد ، ثم قال: ((**إنكم لأن تزدادوا من هذا الأمر أحوج إلى أن تنقصوه ، فإن في الإنكار الشك بعد اليقين ، ودينكم اليوم دينكم بالأمس ، فكونوا عليه حتى تخرجوا به إلى رضى الله تعالى ونـــوره** ...)) [٣] ، ثم أنشدهم قائلاً :

---

(١) ابن عبد ربه ، جـــ١ ، ص ٣٠٨ .

(٢) المصدر نفسه ، النوى : أي الترحال والبعد . ويذكر ابن حجر أن بيته الأخير اصبح مشهوراً بين الناس ، الإصـــابة ، مج ٢ ، جـــ ٢ ، ص ١٨٥ .

(٣) انظر ابن حجر ، الاصابة ، مج ٣ جـــ ٥ ، ص ١٢٢ .

أَهْلَ نَجْرَانَ أَمْسِكُوا بِهَدْيِ اللهِ وَكُونُوا يَداً عَلَى الكُفَّارِ
لاَ تَكُونُوا بَعْدَ اليَقِينِ إِلى الشَكِّ وَبَعْدَ الرِضَا إِلى الإِنْكَارِ
وَاسْتَقِيمُوا عَلَى الطَرِيْقَةِ فِيهِ ثُمْ كُونُوا كَهَيْئَةِ الأَنْصَارِ [1]

ويتضح لنا مما أوردناه عن الشعراء ونماذج من أشعارهم عدة أمور نذكرها على النحو التالي :

أ - تفاوت مستويات هؤلاء الشعراء الذين ذكرناهم فمنهم شعراء مشاهير عرفهم القاصي والداني أمثال : الأعشى ، وابن الزبعري ، حيث نجد لهما أشعاراً كثيرة متناثرة في بطون كتب الأدب . وهناك شعراء آخرون ممن ذكرنا ، وبخاصة النجرانيون منهم ، لا نجد لهم ذكراً كثيراً ، وإنما مواقف الأحداث السياسية ، وما مرت به بلادهم من تحولات اجتماعية وفكرية جعلتهم يعبرون عن وجهة أنظارهم بالشعر ، وكان من الأسلحة ذات التأثيرات القوية .

ب - ما تم إيراده من شعر وشعراء لا يعد حصراً كلياً لشعراء وأدباء أهل نجران وما حولها خلال فترة الرسالة ، وعصر الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ ، وإنما هي أمثلة تعكس لنا بعض الملامح التاريخية والحضارية لتلك الفترة المهمة في تاريخ شبه الجزيرة العربية خاصة ، بل في تاريخ البشرية جمعاء .

ج - تنوع الصور التي وصلتنا من خلال هؤلاء الشعراء وشعرهم ، فقد شاهدنا الأعشى يذهب من بلاد اليمامة حتى يفد على بني الحارث بن كعب في نجران كي يجالسهم ، ويمدحهم ، وينال أعطياتهم ، ويصف ما كانوا فيه من ترف ونعيم ، وما يمارسون من طقوس وممارسات اجتماعية وعقدية تحت ظل كعبتهم الشهيرة ، والتي أطلقوا عليها ((كعبة نجران)) . أما ابن الزبعري وهبيرة بن أبي وهب فقد هربا من المسلمين إلى نجران ربما لبعدها، وربما لاعتقادهما أنها موطن لبعض النصارى المدعومين من امبراطورية الروم، وبالتالي فإنهما سوف يكونا في منأى عن أيدي المسلمين ، لكن بعد وصولهما إلى هناك ، ثم استخدام حسان

(١) المصدر نفسه ، للمزيد ، انظر ، السومحي ، جـ١ ، ص ٩٤ .

ابن ثابت سلاح الشعر في هجائه لابن الزبعري ، رأى الأخير أنه على خطأ وعاد إلى الحجاز وأعلن إسلامه، ثم سَخَّرَ شعره في خدمة الإسلام . أما ابن هبيرة فبقي على غيه ، و لم يكن لديه إلا أن يهجو زوجته أم هاني عندما سمع أنها تركت ملتها ودخلت دين الإسلام .

أما بقية الشعراء الذين ذكرناهم فنلاحظ أنهم سَخَّروا قريحتهم الشعرية للتعبير عن اعتناقهم الإسلام ، وحبهم لهذا الدين الخالد ، ودفاعاً عنه ، ومدحهم له وما جاء به من القيم والمثل العليا ، وحث أقوامهم على التمسك بهذه الرسالة الربانية التي تقود من تمسك بها إلى الفوز والرضوان بالجنة . ويظهر ذلك واضحاً في شعر عمير بن الحصين النجراني حيث نجده يدعو قومه إلى الثبات على الإسلام ، أثناء عصر الردة ، متخذاً أسلوباً إرشادياً في نغمة الإيمان الصافي ، وروح المسلم الصادق الذي تذوق حلاوة الإيمان ، فتعمق في نفسه ، وأسر لبه .

ثانياً : نماذج من شعر وشعراء القسم الثاني :

١ - عمرو بن معدي كرب الزبيدي

عمرو بن معدي كرب ، الذي ورد معنا ذكره في باب الخطابة والخطباء ، عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام ، وشارك في الفتوحات الإسلامية ، ومات في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ عام (٢١ هـ / ٦٤٢ م) ، له من الأشعار في الجاهلية والإسلام الشيء الكثير ، ومن الصعب أن نلم بأشعاره في هذه الدراسة ، وسوف نورد بعضاً من نماذج شعره في فترة الفتوحات الإسلامية [١] .

---

(١) للمزيد عن ترجمة وأشعار عمرو بن معدي كرب الزبيدي ، انظر ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص٢٤٠ – ٢٤٢ ، ابن عبد ربه ، جـ ١ ، ص ٨٦ ، ١٠٥ ، ١٠٩ – ١١٠ ، ١٣٦ ، ٢٧٥ ، ٣١٨ ، المسعودي ، مروج ، جـ ١ ، ص ٣٢٤ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص٥٧٦ ، ابن أعثم ، جـ١، ص٧١ وما بعدها ، الأصفهاني ، الأغاني (طبعة دار إحياء التراث) جـ ١٥ ، ٢٠٨ وما بعدها ، الجاسر ، التعليقات ، جـ ٢ ، ص ٧٦٨ ، ٧٧٣ ، ٩٨٤ .

ونجد عمرو بن معدي كرب الزبيدي يقول أشعاراً كثيرة ، مثال ذلك ما قاله في حروب المسلمين مع الفرس والتي سجل فيها فخره بموقف قومه (مذحج) في معركة القادسية ، قوله :

وَالقَادِسِيَّةُ حَيْثُ زَاحَمَ رُسْتُمُ كُنَّا الحُمَاةُ بِهِنَّ كَالأَشْطَانِ
الضَّاربينَ كُلَّ أَبْيَضَ مِخْدَمِ والطَّاعِنينَ مَجَامِعَ الأَضغَانِ
وَمَضَى رَبِيْعٌ بِالجُنودِ مُشَرِقاً يَنْوِي الجِهَادَ وَطَاعَةَ الرَّحمانِ
حَتَّى اسْتَبَاحَ قُرَى السَوادِ وفَارِسٍ وَالسَّهْلُ وَالأَجْبَالَ مِنْ مَكْرَانِ
قَوْمٌ هُمُ ضَرَبُوا الجَابرَ إِذْ بَغَوا بِالمشْرِفيّةِ مِنْ بَنِي سَاسَانِ [١]

ويذكر أن عمر بن الخطاب ﷺ كتب إلى سعد بن أبي وقاص ﷺ في يوم القادسية ، وأمره أن يعطي الناس أعطياتهم على قدر ما معهم من القرآن ، فقال سعد لعمرو بن معدي كرب ، ما معك من القرآن ؟ قال : ما معي شيء ، قال : إن أمير المؤمنين كتب إلى أن أعطي الناس على قدر ما معهم من القرآن فأنشد قائلاً :

إِذَا قُتِلْنا وَلا يَبْكِي لَنَا أَحَدٌ قَالَتْ قُرَيْشٌ ألا تِلْكَ المَقَادِيرُ
نُعْطِي السَّوِيَّة من طعن له نَفَذٌ وَلاَ سَوِيَّةَ إِذْ تُعْطَى الدَنَانِيرُ [٢]

فعندما سمع عمر بن الخطاب بشعر عمرو بن معدي كرب ، كتب إلى سعد بن أبي وقاص وأمره أن يُعْطي على مقاماته في الحرب [٣] .

---

(١) السوحي ، جـ١ ، ص ١٠٦ ، وللمزيد ، انظر ، النعمان عبد المتعال القاضي . شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام (القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م) ص ٢١٥ .

(٢) ابن عبد ربه ، جـ١ ، ص ٣١٨ .

(٣) المصدر نفسه .

ومن الهجاء الشخصي الذي يدخل تحت لون الهجاء السياسي وما يقال للأمراء والولاة في شكل عتاب أو تأنيب أو خلافه من المعاني التي فيها جفوة وحِدة ، ولعل من هذا القبيل مخاطبة عمرو بن معدي كرب الزبيدي للأمير سعد بن أبي وقاص ﷺ في يوم القادسية ، حيث يقول :

ألا أبْلِغْ أَميرَ الناسِ سَعْـداً ... فَقَـدْ كَذبـتْ أليتهُ وَجَـارَا

وَحرق نابه ظُلماً وَجَهْـراً ... عَلى فَقْدٍ أَتَى دَمـاً وَعَّـارا

هَبِلْتَ لَقَدْ نَسيتَ جِلادَ عَمرٍو ... وَأَنْتَ كَـخامِعِ تَلـجُ الْوِجَـارَا

أُطَاعِنُ دُونَكَ الأعْدَاءَ شَزْرَاً ... وأَغْشَى البِيضَ والأسل الحِرَارِا

بِبَابِ القَادِسِيَّـةِ مُسْتَمِيتَاً ... كَليثِ أَرِيـكَـةَ يَأبى ألفِـرَارا

أَكرُ عَليهِمُ مهْـرِي وَأَحمِي ... إِذَا كَرِهُوا الحَقَائِقَ والذِّمَارَا [1]

٢ - النجاشي :

هو قيس (وقيل سمعان) بن عمرو بن مالك من بني الحارث بن كعب بنجران ، ويكنى أبا الحارث ، أو أبا محاسن ، عرف بالنجاشي : بسبب أدمة بشرته ، أو بسبب أمه الحبشية ، كان من الشعراء المخضرمين ، عرفه الناس وهابوه لأبيات له في الهجاء . وكان هجاؤه لبني العجلان ، أو بمعنى آخر للشاعر ابن مقبل ، مما جلب عليه اللوم (والعقوبة فيما يبدو) من جانب عمر بن الخطاب ﷺ [2] .

---

(١) انظر ، مطاوع الطرابيشي . شعر عمرو بن معد كرب الزبيدي (دمشق ، د . ن ، ١٩٧٤ م) ، ص ١٠٠ .

(٢) انظر ، ابن قتيبة ، الشعر ، ص٢٠٩ – ٢١١، ابن عبد ربه ، جـ ٢ ، ص٣٣٢ ، جـ ٥ ، ص٩٢ ، جـ ٦ ، ص٢٣٧ ، ابن حجر ، الإصابة ، مج ٣ ، جـ ٥ ، ص٢٧٩ ، الزركلي ، جـ ٥ ، ص٢٠٧ ، فؤاد سزكين ، تاريخ التراث العربي ، مج (٢) ، جـ (٢) ، ص ٣٤٥ ، ياسين الأيوبي . معجم الشعراء في لسان العرب (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٧ م) ، ط (٢) ، ص ٢٩١ .

فلقد هاجم النجاشي قريشاً ، وعبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، وابن مقبل وكان دونه في المنزلة . كما كان من أنصار علي بن أبي طالب ﷺ ، وحارب في صفين ، وهجا معاوية بن أبي سفيان ﷺ في شعره ، وتوفي في بلاد اليمن عام (٤٠ هـ/٦٦٠ م)[١]، ويذكر أنه دفن بنجران [٢] .

وإلى جانب براعته في الهجاء ، كان بارعاً أيضاً في شعر الوصف لا سيما وصف الحروب وويلاتها ومن أشعاره في هذا المقام ، عندما اشتدت الحروب في معركة صفين بين الخليفة علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ﷺ ، وأدى الأمر في النهاية إلى رفع المصاحف على أسنة الرماح مطالبين بالتحكيم ، قال النجاشي شعراً صور فيه بلاء القبائل اليمانية في هذه الحروب حتى الجأت أهل الشام إلى رفع المصاحف [٣] :

حَسِبْتُمْ طِعَانَ الأَشْعَرِيْن وَمَذْجِجٍ وَهَمْدَانَ أَكْلُ الزُّبْدِ بالصَّرِفَـــانِ
فَمَا قُـتِلَتْ عَكٌّ ولَخْم وحِمْيَرٌ وَعَيْلانُ إلاَّ يَـوْمِ حَرْبِ عَوَانِ
وَمَا دُفِنَتْ قَتلَى قُرَيْشٍ وَعَامِـرٍ بِصِفين حَتى حُكِّـم الحكَمَـانِ
غَشَيْنَاهُمُ يَومَ الهرِيْـرِ بِعُصْبَةٍ يَمَانِيةٍ كَـالسَيلِ سَيْـلِ عِـرَانِ
فَأَصْبَحَ أَهْلُ الشَامِ قَدْ رَفَعُوا القَنَا عَلَيهَا كِتَـابُ اللهِ خَيرُ قُـرَانِ [٤]

وتبدو في هذه الشعر صورة العصبية القبلية والتمايز القبلي وإن أدخل الشاعر ذلك تحت مظلتي الشام والعراق .

ثم يصور هول هذا الصراع وبشاعة مخلفاته فيقول [٥] :

---

(١) المصادر والمراجع نفسها .
(٢) انظر ، البغدادي ، خزانة الأدب (مطبعة بولاق) ، جـ ١ ، ص ١١٧ .
(٣) انظر ، ابن مزاحم ، وقعة صفين ، ص ٥٢٤ .
(٤) المصدر نفسه .
(٥) المصدر نفسه .

وَمَا زَالَ مِنْ هَمْدَانَ خَيْلٌ تَدُوسُهُمْ سِمَانٍ وَأُخْرَى جِـدُّ غَيْرِ سِمَانِ
فَقَامُوا ثَلاثاً يَأْكُلُ الطَيْرُ مِنْهُمُ عَلى غَيرِ نَصْفٍ والأنُوفُ دَوَانِ
وَمَا ظَنُّ أَولادِ الإِمَاءِ بَنِي اسْتِهَا بِكُلِّ فَتى رِخْـوِ النِّجَادِ يَمَانِ
فَمَنْ يَرَ خَيْلَيْنا غَدَاةَ تَـلاقَيَـا يَقُـلْ جَبَلا جَـيْلاَنِ يَنْتَطِحَـانِ
كَأَنَّهُمَا نَارَانِ فِي جَـوفِ غَمْرَةٍ بِلا حَطَبٍ حَدَّ الضُحَى تَقِدَانِ
وَعَارِضَـةٍ بَرَّاقَـةٍ صَوبُهَا دَمٌ تَكشَّفَ عَنْ بَرْقٍ لَهَا الأُفُقَانِ [1]

أما في الهجاء فمنه هجاؤه قبائل بني العجلان ، فاستعدوا عليه الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ فقالوا يا أمير المؤمنين هجانا ، فقال : وما قال ؟ فأنشدوه : [2].

إِذا اللهُ عَادَى أَهْلَ لُؤْمٍ وَرِقّةٍ فَعَادَى بَنِي العَجْلاَنِ رَهْطَ ابْنِ مُقْبِلِ

فقال عمر بن الخطاب : إنما دعا عليكم ولعله لا يجاب ، فقالوا : إنه قال :

قُبَيّلَـةٌ لاَ يَغْـدُرونَ بِذِمَّـةٍ وَلاَ يَظْلِمُونَ النَاسَ حَبَّةَ خَرْدَلِ

فقال عمر ﷺ : ليت آل الخطاب كذلك ، قالوا فإنه قال :

وَلاَ يَرِدُونَ المَـاءَ إِلاَ عَشِيَّـةً إِذَا صَدَرَ الـوُرّادُ عَنْ كُلِ مَنْهَلِ

فقال عمر : ذلك أقل للسكاك يعني الزحام ، قالوا فإنه قال :

تَعَافُ الكِلاَبُ الضَّارِيَاتُ لُحُومَهُمْ وَتَأْكُلُ مِنْ كَعْبِ بنَ عَوْفٍ وَنَهْشَلِ

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) انظر ، ابن قتيبة ، الشعر ، ص ٢١٠ ، وللمزيد انظر ، ابن رشيق ، القيرواني العمدة في محاسن ، الشعر ونقـده (بيروت : دار الجيل ، ١٩٧٢ م) ، جـ١ ، ص ٥٢ .

فقال عمر : كفى ضياعاً من تأكل الكلاب لحمه ، قالوا إنه قال :

وَمَا سُمِّيَ العَجْلاَنُ إلاَّ لِقَولِـــهِمْ خُذْ القَعْبَ واحْلِبْ أَيُّهَا العَبْدُ وَاعْجَلِ

فقال عمر : كلنا عبد وخير القوم خادمهم .

وقد سأل عمر حسان بن ثابت (رضي الله عنهما) عن هذا الشعر لا لعدم معرفته بالمعاني وإنما لما يحتمله الشعر من مدح أو ذم بالنسبة للجاهلية والإسلام ، فقال حسان إنه سلح عليهم ملاحظاً في ذلك القيم الجاهلية ، بينما عمر ﷺ نظر إلى الأبيات من ناحية القيم الإسلامية [٢] .

على أن عمر قد أخذ آخر الأمر بحكم حسان فسجن الشاعر أو هدده بقطع لسانه مما أثار حفيظة النجاشي على حسان فاستعر الهجاء بينهما فيما بعد .

وكان من هجاء النجاشي العام الذي لا يخص به قبيلة أو قبائل معينة ، وإنما يهجو فيه مجتمع مدنياً ، ما قال في هجاء أهل الكوفة عندما حده الإمام علي بن أبي طالب ﷺ لشربه الخمر في شهر رمضان ، حيث يقول : [١]

إِذَا سَقَى اللهُ قَومَاً صَوْبَ غَادِيَةٍ فَلاَ سَقَى اللهُ أَهْلَ الكُوفَةِ المَطَرَا

التَّارِكِينَ عَلى طُهْرٍ نِسَاءَهُمُ وَالنَّاكِحِينَ بِشَطَّي دِجْـــلَةَ البَقَرَا

وَالسَّارِقِينَ إِذَا مَا جَنَّ لَيْلهُمُ وَالدَارِسِينَ إِذَا مَا أَصْبَحُوا السُّوَرَا

أَلقَى العَدَاوة وَالبَغْضَاءَ بَيْنَهُمُ حَتَّى يَكُونُوا لِمَنْ عَادَاهُمُ جَزَرَا [٢]

---

(٢) المصدران نفسهما ، وللمزيد انظر ، السومحي ، ص ١٥٥ – ١٥٦ .

(١) ابن قتيبة ، الشعر ، ص ٢٠٩ – ٢١٠ ، ياقوت ، معجم ، جـ ٤ ، ص ٤٩٢ – ٤٩٣ .

(٢) المصدران نفسهما .

وفي هذه الأبيات من الهجاء المقذع ما فيه ، فقد وصفهم بالشذوذ حيث ينصرفون عن النساء التي أحلها الله إلى إتيان البهائم ، كما وصفهم بالرياء ، والنفاق، والشقاق ، وهي صفات يبدو أنها عرفت عنهم في ذلك العهد . ويبدو أن مجتمع الكوفة قد ثار على الشاعر لشربه الخمر في رمضان ولخروجه على شريعة الإسلام وأنه أوذى ، وأهين ، وضرب ، ولهذا نجده يقول لهم [١] .

ضَرَبُونِي ثُمَّ قَالُوا قَدَرٌ قَدّرَ اللهُ لَهُمْ شَرَّ القَدَرْ [٢]

وفي باب المدح والإعجاب نظم النجاشي أيضاً بعض الأشعار ، منها ما مدح به الأشتر النخعي ، أحد قادة الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ في معركة صفين ، حيث قال :

رَأَيْتُ اللِّوَاءَ لِوَاءَ العُقَابِ يُقَحّمُهُ الشَّانِئُ الأَخْزَرُ
كَلَيثِ العَرِيْنِ خِلالَ العُجَاجِ وَأَقْبَلَ فِي خَيْلِهِ الأَبْتَرُ
دَعَوْنَا لَهَا الْكَبْشَ كَبْشَ العِرَاقِ وَقَدْ خَالَطَ العَسْكَرَ العَسْكَرُ
فَرَدَّ اللِّوَاءَ عَلَى عَقْبِهِ وَفَازَ بِحَظْوَتِهَا الأَشْتَرُ
كَمَا كَانَ يَفْعَلُ فِي مِثْلِهَا إِذَا نَابَ مُعْصَوصَبٌ مُنْكَرُ
فَإِنْ يَدْفَعِ اللهُ عَنْ نَفْسِهِ فَحَظُّ العِرَاقِ بِهَا الأَوفَرُ
إِذَا الأَشْتَرُ الْخَيرُ خَلَّى العِرَاقَ فَقَدْ ذَهَبَ العُرْفُ وَالْمُنْكَرُ [٣]

---

(١) ابن قتيبة ، الشعر ، ص ٢١٠ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) انظر ، ابن مزاحم ، وقعة صفين ، ص ٣٩٦ .

وفي باب الرثاء قوله في رثاء أبي عمرة عمرو بن محصن الأنصاري ، الذي قتل في حروب صفين في جيش الإمام علي بن أبي طالب ﷺ [١] ، حيث تعبر أبياته عن عاطفة جياشة ووفاء ظاهر تجاه أبي عمرة فيقول :

لَنِعْمَ فَتَى الحَيَّينِ عَمْرو بنُ مِحْصَنٍ إِذَا صَائِحُ الْحَـيِّ الْمُصَبِّحُ ثَوَّبَا
إِذَا الخَيْلُ جَالَتْ بَيْنَهَا قَصَدَ القَنَا يُثِرْنَ عَجَاجَـاً سَاطِعَاً مُتَنَصِّبَاً
لَقَدْ فُجِعَ الأَنْصَارُ طُرَّاً بِسَيِّـدٍ أَخَا ثِقَةٍ فِي الصَّالِحِـيْنَ مُجَرَّبَا
فَيَارَبَّ خَيْرٍ قَـدْ أَفدتُ وَجَفْنَةٍ مَـلأتُ وَقَرْنٍ قَدْ تَرَكْتُ مُخيَّبَا
وَيَارُبَّ خَصْمٍ قَدْ رَدَدْتُ بِغَيْظِهِ فَآبَ ذَلِيْلاً بَعْدَ مَا كَانَ مُغْضَبَا
وَرايةِ مَجْدٍ قَدْ حَمَلْـتُ وَغَزْوَةٍ شَهِدْتُ إِذَا النِّكْسُ الْجَبَـانُ تَهَيَّبَا
حَوُوطاً عَلَى جُلِّ الْعَشِيرَةِ مَاجِداً وَلَمْ يَكُ فِي الأَنْصَارِ نِكْساً مُؤَنَّبَا
طَوِيلَ عَمُودِ الْمَجْدِ رحباً فِنَاؤُهُ خَصِيْباً إِذَا مَا رَائِدُ الْحَيِّ أَجْدَبَا
عَظِيْمُ رَمَادِ النَّارِ لَمْ يَكُ فَاحِشَاً وَلاَ فَشِلاً يَوْمَ القِتَـالِ مُغَلَّبَـاً
وَكُنْتَ رَبِيْعَاً يَنْفَعُ النَّاسَ سَيْبُهُ وَسَيْفَاً جِرَازَاً بَاتِكَ الْحَدِّ مُقْضَبَاً
فَمَنْ يَكُ مَسْرُوراً بِقَتْلِ ابْنِ مِحْصَنٍ فَعَاشَ شَقِيَّاً ثُمَّ مَاتَ مُعَذَّبَاً [٢]

ويجب ألاَّ يخدعنا النجاشي بما أورده من ألفاظ ومعانٍ قوية ، وبما أضفاه من أوصاف على مرثيته ، فهو إما مبالغ أو متكلف ، ونلمس هذه المبالغة وهذا التكلف في التكرار والإعادة في المعاني ، والناظر في هذه الأبيات يلاحظ أن الشاعر قد أضفى على

(١) ابن مزاحم ، ص ٣٥٧ .
(٢) المصدر نفسه .

أبي عمرة كثيراً من الصفات منها ، الشجاعة ، والكرم ، ولولا كلمة " فجع " في البيت الثالث لظننا أن هذه القصيدة مدحاً لا رثاءً .

ومن مراثي النجاشي أيضاً مرثيته في الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ ، وجاء فيها : [١]

جَعْدَةُ [٢] بَكّة ولاَ تَسْأَمِي ... بَعْدَ بُكَاءِ المعُولِ الثَّاكلِ

لَمْ يُسْبلِ السِّتْرَ عَلى مِثْلِه ... في الأَرْضِ مِنْ حَافٍ وَمِنْ نَاعِلِ

كَانَ إِذَا شُبَّتْ لَهُ نَارُه ... يَرْفَعُهَا بِالسَّنَدِ الفَاتِلِ

كَيمَا يَرَاهَا بَائِسٌ مُرمِلٌ ... وَفَرْدُ قَوْمٍ لَيْسَ بِالآهِلِ

يَعْلي بَنِيَّء اللَّحْمِ حَتَّى إِذَا ... أَنْضَجَهُ لَمْ يُغل مِنْ آكِلِ

أَعْنِي الَّذِي أَسْلَمَنَا هُلْكُه ... لِلزَّمَنِ الْمُستَحْرَجِ المَاحِلِ [٣]

ومن شعر اللوم والعتاب ما قاله النجاشي الحارثي يلوم اليمنيين ويعاتبهم على تفرقهم في بلاد الشام وغيرها من بلدان المسلمين ، وعلى سكوتهم على الضيم ، معتقداً أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ يرسلهم في غزوات البحر ، ويرسل قبائل قيس في البر فقال : [٤] .

أَلاَ أَيُّهَا النَّاسُ الَّذِينَ تَجَمَّعُوا ... بِعَكَّا أُنَاسٌ أَنْتُمُ أَمْ أَبَاعِرُ

أَيُتْرَكُ قَيْسٌ آمِنِينَ بِدَارِهِمْ ... وَتَرْكَبُ ظَهْرَ البَحْرِ وَالبَحْرُ زَاخِرُ

---

(١) انظر ، المسعودي ، مروج ، مج ١ ، جـ١ ، ص ٤٢٧ – ٤٢٨ .

(٢) جعدة : يقال انها بنت للأشعث بن قيس الكندي وكانت زوجة للحسن بن علي بن أبي طالب ، انظر ، المسعودي ، مروج ، مج ١ جـ ٢ ، ص ٤٢٧ .

(٣) المصدر نفسه ، مج ١ ، جـ ٢ ، ص ٤٢٧ – ٤٢٨ .

(٤) البغدادي ، خزانة ، جـ١ ، ص ٤٦٧ (ط . بولاق) .

فَوالله مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَسَائِلٌ أَهَمْدَانُ تَحْمِي ضَيْمَهَا أَمْ يُحَابِرُ
أَم الشَّرَفُ الأَعْلَى مِنْ أَوْلاَدِ حِمْيَرٍ بَنُو مَالِكٍ أَنْ تَسْتَمِر المَرَائِرُ
أَأَوصَى أَبُوهُمْ بَيْنَهُمْ أَن تَوَاصَلُوا وَأَوصَى أَبُوكُمْ بَيْنَكُمْ أَنْ تَدَابَرُوا (٢)

ويظهر من هذا الشعر اشتداد الشاعر في لومه وعتابه لليمنيين ، حيث مزج شعره بالسخرية ، فهو يتساءل إن كان هؤلاء القوم أناساً يشعرون ويحسون أو أنهم جمال لا احساس لهم ولا شعور ، وهو يرجح أن يكونوا كالأباعر لا إحساس لهم ، ولو لم يكونوا كذلك لما ركبوا المخاطر ، وتعرضوا للمهالك ، وغيرهم ينعم بالأمان ، ويختار الأسلم من الأمور .

٣ جعفر بن علبة الحارثي :

هو جعفر بن علبة بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد المدان ، ينتهي نسبه إلى مذحج (٣) . ولد ونشأ في نجران في قبيلة بني الحارث بن كعب ، وكان فارس قومه وشاعرهم ، كما كان أبوه (علبة بن الحارث) شاعراً أيضاً . وكغيره من شعراء عصره لم نجد تحديداً لميلاده ، أو أخباراً عن نشأته الأولى ، وكل ما نعرفه من أخبار هذا الشاعر تلك الحادثة التي أودت بحياته ، ولكنها حفظت لنا بعض أخباره ،

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) للمزيد عن ترجمة لهذا الشاعر وأشعاره ، انظر ، الأصفهاني ، الأغاني (طبعة دار حياء التراث العربي) جـ ١٣ ، ص٤٥ وما بعدها " جعفر بن علبة الحارثي – حياته وما تبقى من شعره "، جمع وتحقيق ودراسة الدكتور / شوادفي أحمد علام . مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة (جامعة الأزهر)، العدد (١٢) عام (١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م) ، ص ٣٤١ – ٤٢٩ ، محمد بن حبيب . أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام (القاهرة : طبعة لجنة التأليف والترجمة ، ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م) جـ ٢ ، ص ٢٠٧ ، شرح ديوان الحماسة للخطيب التبريزي (بيروت ، د . ن ، د . ت) جـ١ ، ص٤٦ ، ياقوت ، معجم ، جـ٣ ، ص ١٩٤ – ١٩٥ ، البغدادي ، خزانة الأدب ، جـ ٤ ، ص ٤٢٢ ، الزركلي ، جـ ٢ ، ص ١٢٥ .

وهي حادثة قتله لأحد العقيليين ورفع أمره لوالي مكة ثم حبسه في مكة المكرمة والقَوَدُ منه بقتله . وقد اضطربت الروايات حولها واختلفت ، ولعل أبا الفرج الأصفهاني ، خير من يعطينا صورة لهذا الاضطراب ، وذاك الاختلاف حيث يقول : ((**وكان جعفر قتل رجلاً من بني عقيل : قيل : إنه قتله في شأن أمة كانا يزورانها فتغايرا عليها . وقيل : بل في غارة أغارها عليهم . وقيل : بل كان يحدث نساءهم فنهوه فلم ينته ، فرصدوه في طريقه إليهن فقاتلوه فقتل منهم رجلاً فاستعدوا عليه السلطان فأقاد منه**)) [١] .

ومهما يكن من أمر هذا الاختلاف فإن الشاعر قد رفع من نجران وحبس بمكة في القرن الثاني للهجرة ، وتردد الوالي في قتله لخؤولة أبي جعفر المنصور في بني الحارث ابن كعب ، ولكن العقيليين أقاموا القسامة عليه وهددوا الوالي إن لم ينصفهم ليقدمن على الخليفة المنصور ، ويجيب الوالي بعد هذا التردد فيقيد لهم منه بقتله [٢] .

وكما اختلفت الروايات في تحديد أسباب الحادثة التي أدت إلى مقتل الشاعر اختلفت في تحديد زمان ومكان القَوَد منه ، فبينما نجد أبا الفرج الأصفهاني يذكر أن الحادثة كانت في عهد أبي جعفر المنصور وأن الوالي على مكة كان السرى بن عبد الله الهاشمي ، وأنه نسخ ذلك من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني بأثره عن أبيه [٣] ، إذ به ينقل عن ابن الكلبي أن الحادثة كانت في عهد إبراهيم بن هشام المخزومي ، ومن ثم فإن الرواية تقرر أنه قتل في عهد هشام بن عبد الملك بن مروان . وإذ به يعود وينسخ من كتاب للنضر بن حديد يقرر فيه أنه قتل في عهد المنصور وأن الوالي على مكة كان السرى بن عبد الله الهاشمي . وبعد نقل صاحب الأغاني لهذه الروايات نجد التبريزي في

---

(١) انظر ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٣ ، ص ٤٩ وما بعدها ، " جعفر بن علبة الحارثي " ، ص ٣٤٦ وما بعدها ، ابن جريس ، دراسات ، جـ ١ ، ص ٢٧٠ – ٢٧٢ .

(٢) المصادر والمراجع نفسها .

(٣) محمد بن حبيب ، أسماء المغتالين ، جـ ٢ ، ص ٢٠٧ .

شرحه على حماسة أبي تمام يقرر وبدون تردد أن القتل كان في عهد الوالي إبراهيم بن هشام المخزومي [١] .

ويبقى بعد ذلك أن نقف عاجزين عن تحديد السنة التي قتل فيها الشاعر ، فلم يذكر أحد ممن ترجموا له تحديداً لهذه السنة ، وقد حزن عليه أبوه حزناً شديداً ، بل نجران كلها بكت مقتله ، فيذكر أبو الفرج أن أباه عندما علم بمقتله عمد إلى كل ناقة وإلى كل شاة ونعجة فذبح ابنها ورماه أمامها وقال : ابكين معنا على جعفر [٢] .

وقد وصف أبو الفرج جعفر بن علبة بأنه شاعر مقل غزل فارس مذكور في قومه، وهذه الصفات في الواقع تنطبق على الشاعر ، فأما كونه غزلاً فله أبيات في غاية الجودة ، وحادثة قتله ربما أفصحت عن هذه الصفة ، وأما كونه فارساً مذكوراً في قومه فيظهر ذلك من خلال شعره ، وتبقى صفة القلة في شعره فهذا مالا نستطيع أن نثبته أو ننفيه ، لا نستطيع أن ننفيه لأن ما بين أيدينا من شعره قليل ، ولا نستطيع أن نثبته لأن شعر أهل نجران وبلاد اليمن في هذه المدة قد أصيب بالإهمال وعدم التسجيل .

ومهما يكن من الأمر فإن الذي نلاحظ على شخصية الشاعر هو أنه كان مستهتراً رقيق الدين ، يظهر لنا من حادثة قتله كما يظهر لنا من شربه الخمر ، فقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني أن جعفر بن علبة شرب خمراً حتى سكر فأخذه السلطان وحبسه ، فأنشد يقول : [٣]

---

(١) انظر ديوان الحماسة للتبريزي ، جـ١ ، ص ٤٦ ، " جعفر بن علبة ... " ، ص ٣٥٢ وما بعدها .

(٢) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٣ ، ص ٤٦ ، " جعفر بن علبة " ، ص ٣٥٥ – ٣٥٦ .

(٣) انظر ، الصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٣ ، ص ٤٥ ، " جعفر بن علبة ... " ، ص ٤١٧ .

لَقَــدْ زَعَمُوا أَنِّي سَكِــرْتُ وَرُبَّمَا يَكُونُ الفَتَى سَكْرَانَ وَهُوَ حَلِيمُ
لَعَمْرُكَ مَا بِالسُّكْرِ عَارٌ عَلَى الْفَتَى وَلَكِــنَّ عَــاراً أَنْ يُقَــالُ لَئِيــمُ
أَسِجْنٌ ، وَقَيْدٌ ، وَاغْتِرَابٌ ، وَعُسْرَةٌ وَذِكْــرُ حَبِيْــبٍ ؟ إِنَّ ذَا لَعَظِيــمُ
وَإِنَّ أَمْــرَءاً دَامَــتْ مَوَاثِيقُ عَهْدِهِ عَلَــى دُوْنَ مَــا لاَقَيْتُهُ لَكَرِيْمُ [١]

فهو يقرر هنا أن العار ليس في السكر ، وإنما في اللؤم ، ويظهر لنا في هذه الأبيات شخصية أخرى فيها الوفاء ، وفيها الكرم والرجولة والكبرياء . وهذا الكبرياء يبرر في موقف القود منه قال ابو الفرج :

((فلما أخرج جعفر للقود قال له غلام من قومه : أسقيك شربة من ماء بارد ؟ فقال له : أسكت لا أم لك ، إنّي إذاً لمهياف . وانقطع شسع نعله فوقف فأصلحه ، فقال له رجل : أما يشغلك عن هذا ما أنت فيه ؟ فقال :

أَشُــدُّ قُبَــالَ نَعْلِي أَنْ يَرَانِي عَدُوِيٍّ لِلْحَــوَادِثِ مُسْتَكِيْــنَا [٢]

ويذكر أنه حصل مشادات بين بني الحارث في نجران والعقيليين في نجد ، وعرفت تلك النزاعات بـــ (يوم سحبل) [٣] ، الذي على أثره قتل الحارثيون رجلاً من بني عقيل فشكاهم العقيليون إلى والي مكة المكرمة ، في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور ، الذي اقتاد للعقيليين من الحارثيين ، وقتل جعفر بن علبة قصاصاً ، وفي هذه الحادثة يقول جعفر شعراً قبل أن يقتل : [٤]

---

(١) المصدر والمرجع نفسهما .
(٢) الأصفهاني ، الأغاني ، جـــ ١٣ ، ص ٥٣ ، ابن جريس ، دراسات ، جـــ١ ، ص ٢٧٢ .
(٣) سحبل : موضع في ديار بني الحارث بن كعب في نجران ، انظر ، ياقوت ، معجم ، جـــ ٣ ، ص ١٩٤.
(٤) " جعفر بن علبة ... " ، ص ٤١٩ وما بعدها .

ألاَ لاَ أُبَالِي بَعْدَ يَوْمٍ بِسَحْبَلٍ إِذَا لَمْ أُعَذَّبْ أَنْ يَجِيءَ حِمَامِيَا

تَرَكْتُ بِأَعْلَى سَحْبَلٍ وَمَضِيْقِه مُرَاقَ دَمٍ لاَ يَبرَحُ الدَّهْرَ ثَاوِيَا

شَفَيْتُ بِهِ غَيْظِي وَجُرِّبَ مَوْطِنِي وَكَانَ سَنَاءً آخِرَ الدَّهْرِ بَاقِيَا

أَرَادُوا لِيَثْنُونِي فَقُلْتُ تَجَنَّبُوا طَرِيْقِي فَمَالِي حَاجَةٌ مِنْ وَرَائِيا

فِدَى لِبَنِي عَمٍ أَجَابُوا لِدَعْوَتِي شَفَوا مِنْ بَنِي القَرْعَاءِ عَمِّي وَخَالِيَا

كَأَنَّ بَنِي القَرْعَاءِ يَوْمَ لَقِيْتُهمْ فِرَاخُ القَطَا لاَ قَيْنَ صَقْراً يَمَانِيَا

تَرَكْنَاهُمُ صَرْعَى كَأَنَّ ضَجِيْجَهُمْ ضَجِيْجَ دَبَارَى النِّيب لاَقَتْ مُدَاوِيَا

أَقُولُ وَقَدْ أَجَّلتُ مِن اليَومِ عَرْكَة لِيَبْكِ العَقِيلَين مَنْ كَانَ بَاكِيَا

فَإِنّ بِقُرّىْ سَحْبَلٍ لأمَارَة وَنَضْحَ دِمَاءٍ مِنْهُمُ وَمُحَابِيَا

وَلَمْ أَتْرِكْ لِيَ رِيْبَةً غَيْرَ أَنَّنِي وَدَدتُ مُعَاذَاً كَانَ فِيْمَنْ أَتَانِيَا

شَفَيْتُ غَلِيْلِي مِنْ خَشِينَة بَعْدَ مَا كَسَوْتُ الْهُذَيْلَ الْمُشْرِفِّي اليَمَانِيَا [1]

وفي هذه الأبيات تظهر لنا صورة من صور عصبيات الجاهلية ، وما كان بين العشائر والقبائل من نزاعات وصراعات أودت بحياة كثير منهم ، وقد تكون لأسباب تافهة ، ولكن العصبيات القبلية والجهل جعلهم لا يتورعون عن خوض تلك الحروب الدامية ، مع أن ذلك كان في العهد الإسلامي .

ومما قال جعفر من شعر يفتخر بنفسه وقومه يوم سحبل ، واستعراضه لما كان في ذلك اليوم من بلاء لقومه ، أن قال : [2]

---

(١) المصدر نفسه ، وللمزيد ، انظر ، كتاب الأغاني ، جـ ١٣ ، ص ٤٧ .

(٢) انظر ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٣ ، ص ٤٨ – ٤٩ .

وَسَائِلَةٍ عَنَّا بِغَيْبٍ وَسَائِلٍ ... بِمَصْدَقِنَا فِي الْحَرْبِ كَيفَ نُحَاوِلُ
بِعَيْشة قُرّىْ سَحْبَلٍ إِذْ تَعْطَّفَتْ ... عَلَيْنَا السَّرَايَا والْعَدُّو الْمُبَاسِلُ
فَفَرَّجَ عَنَّا اللهُ مَرْحَى عَدِوِّنَا ... وَضَرَّبَ بِبِيْضُ المشرَفِيَّةِ خَابِلُ
إِذَا مَا رَصَدْنَا مَرْصَداً فَرَّجَتْ لَنَا ... بِأَيْمَانِنَا بِيْضُ جَلَتْهَا الصَّيَاقِلُ
وَلَمَّا أَبَو إِلاَّ الْمُضِيَّ وَقَدْ رَأَوا ... بِأَنَّ لَيْسَ مِنَّا خَشْيَةَ الْمَوتِ نَأَكِلُ
حَلَفْتُ يَمِيناً بَرَةً لَمْ أُرِدْ بِهَا ... مَقَالَةَ تَسْمِيْعٍ وَلاَ قَوْلَ بَاطِلُ
لَيَخْتَصِمَنَّ الْهُنْدِوَانِيِّ مِنْهُمُ ... مَعَاقِدُ يَخْشَاهَا الطَّبِيْبُ الْمُزاوِلُ
وَقَالُوا لَنَا ثِنْتَانِ لاَ بُدَّ مِنْهُمَا ... صُدُورُ رِمَاحٍ أُشْرِعَتْ أَوْ سَلاَسِلُ
فَقُلْنَا لَهُمْ يُكْلَمْ إِذاً بَعْدَ كَرَّةٍ ... تُغَادِرُ صَرْعَى نَهْضُهَا مُتَخَاذِلُ
وَقَتْلى نُفوسٍ فِي الْحَياةِ زَهِيدَةٍ ... إِذَا اشْتَجَرَ الْخَطِيّ وَالموتُ نَازِلُ
لَهُمْ صَدْرُ سَيْفِي يَومَ بَطْحَاءَ سَحْبَلٍ ... وَلِي مِنْهُ مَا ضَمَّتْ عَلَيهِ الأَنَامِلُ [1]

ومن شعره في لوعة الفراق وهو يصوره تصويراً فاجعاً ، قوله :

أَشَارَتْ لَنَا بِالكَفِ وَهِيَ حَزِيْنَةٌ ... تُوَدِّعُنَا إِذْ لَمْ يُوَدِّعْ سَلاَمُهَا
وَمَا أَنْسَ مَالأَشْيَاءَ لاَ أَنْسَ قَوْلُهَا ... وَقَدْ زَلّ عَنْ غُرِّ الثَّنَايَا لِثَامُهَا
أَمَا مِنْ فِرَاقِي الْيَوْمَ بُدٌّ وَلاَ الْنَّوَى ... بِمُجْتَمِعٍ إِلاَ لِشَحْطٍ لِمَامُهَا ؟
فَلَو كُنْتُ أَبْكِي مِنْ فِرَاقِ صَبَابَةٍ ... لأَذْرَيتُ عَيْنِي دَمْعَةً لاَ أَلُومُهَا

(١) المصدر نفسه .

وَلَكِنَّ لِيْ عَيْنَاً كَتُومَاً بِمَائِهَا جَمُودَاً بِنَاءُ النَّاظِرْينَ انْسِجَامُهَا [١]

وكذلك من شعره في تصوير معاناته في السجن ، والظروف التي ألقته فيه ، وكيف أصبح يائساً من خروجه منه ، ثم تعزيته نفسه بالشجاعة ، ومؤاساتها بالصبر على الذل والهوان ، فقال :

إِذَا بَابُ دَوْرَانٍ [٢] تَرَنَّمَ فِي الْدُّجَى وَشَدَّ بِإِغْلاقٍ عَلَيْنَا وَأَقْفَالِ

وَأَظْلَمَ لَيْـــلٌ قَامَ عِلْجٌ بِجُلْجُلٍ يَدُورُ بِهِ حَتَّى الْصَّبَاحِ بِأَعْمَالِ

وَحُرَّاسُ سُوءٍ مَا يَنَامُونَ حَوْلَـــهُ فَكَيْفَ لِمَظْلُومٍ بِحِيْلَةِ مُحْتَالِ

وَيَصْبِرُ فِيهِ ذُو الشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى عَلَى الْذُّلِّ لِلْمَأْمُورِ وَالْعِلْجُ وَالْوَالِي [٣]

ومن شعره أيضاً وهو في سجنه حين ألم به طيف محبوبته ، فيعجب من زيارتها له مع إغلاق السجن ، وأخذ يمزج حبه لها وشوقه إليها بموقفه ممن سجنوه ، فقال :[٤]

عَجِبْتُ لِمَسْرَاهَا وَأَنَّى تَخَلَّصَتْ إِلَيّ وَبَابُ السِّجْنِ بِالْقُفْلِ مُغْلَقُ

أَلَمَّتْ فَحَيَّتْ ثُمَّ قَامَتْ فَوَدَّعَتْ فَلَمَّا تَوَلَّتْ كَادَتِ النَّفْسُ تُزْهَقُ

فَلاَ تَحْسَبِي أَنِّي تَخَشَّعْتُ بَعْدَكُمُ لِشَيءٍ وَلاَ أَنِّي مِنَ الْمَوتِ أَفْرَقُ

---

(١) انظر ، " جعفر بن علبة ... " ، ص ٤١٨ ، السومحي ، ص ١٨٦ .

(٢) دوران : لعله اسم السجن ، ولم توضح القواميس معنى هذه الكلمة ، وإنما ذكرت (الدربان) ، وهو : البـــواب ، فارسي معرب .

(٣) الأصفهاني ، المصدر السابق ، جـــ ١٣ ، ص ٤٦ .

(٤) المصدر نفسه ، جـــ ١٣ ، ص ٥١ .

وَكَيْفَ وَفِي كَفَّي حُسَامٌ مُذَلَقٌ يَعَضُّ بِهَامَاتِ الرِجَالِ وَيَعْلَقُ
وَلاَ أَنَّ قَلْبِي يَزْدَهِيْهِ وَعِيْدُهُمْ وَلاَ أَنَّنِي بِالْمَشْيِ فِي الْقَيْدِ أُخْرَقُ
وَلَكِنْ عَرَتْنِي مِنْ هَوَاكِ صَبَابَةٌ كَمَا كُنْتُ أَلْقَى مِنْكِ إِذْ أَنَا مُطْلَقُ
فَأَمَّا الْهَوَى وَالْوُدُّ مِنِّي فَطَامِحٌ إِلَيْكِ وَجُثْمَانِي بِمَكَةَ مُوثَقُ (١)

كما يذكر جعفر في بعض أشعاره ، وهو في سجنه بمكة ، شوقه وحنينه إلى موطن صباه ومرابع شبابه في نجران ، ثم يتساءل عن مصيره في السجن هل سيعود إلى موطنه يلهو ويلعب مع أقرانه ، أم أنها النهاية ، فيقول :

أَلاَ هَلْ إِلَى فِتْيَانِ لَهْوٍ وَلَذّةٍ سَبِيْلٌ وتَهْتَاف الْحَمَامِ الْمُطَوّقِ
وَشَرْبَةِ مَاءٍ مِنْ خَدُورَاءَ (٢) بَارِدٍ جَرَى تَحْتَ أَظْلاَلِ الأَرَاكِ الْمُسَوَّقِ
وَسَيْرِي مَعَ الْفِتْيَانِ كُلَّ عَشِيَّةً أُبَارِي مَطَايَاهُمْ بِصَهْبَاءَ سَيْلَقِ
إِذَا كَلَحَتْ عَنْ نَابِهَا مَجَّ شِدْقُهَا لُغاماً (٣) كَمُجِّ الْبَيْضَةِ الْمُتَرَقْرِقِ
وَأَصْهَبَ جَوْنٍ كَأَنَّ بُغَامَهُ تَبَغُّمَ مَطْرُودٍ مَنَ الوَحْشِ مُرْهَقِ
بَرَى لَحْمَ دَفِيهِ وَأَدْمَى أَظَلَّه اجْـ تِيَابِي الْفِيافِي سَمْلَقاً بعد سَمْلَقِ (٤)

---

(١) المصدر نفسه .
(٢) خدوراء : موضع في بلاد بني الحارث بن كعب في نجران ، انظر ، ياقوت ، معجم ، جـ ٢ ، ص ٣٤٨– ٣٤٩ .
(٣) اللغام : زبد أفواه الإبل ، وهو من البعير بمنزلة بزاق أو لعاب الإنسان .
(٤) انظر ، الأصفهاني ، المصدر نفسه ، جـ ١٣ ، ص ٥٦ ، ياقوت ، جـ ٢ ، ص ٣٤٨ – ٣٤٩ ، وللمزيد ، انظر : حمد الجاسر " تحديد منازل القبائل القديمة على ضوء أشعارهم " مجلة العرب ، مج (٨) (١٣٩٣– ١٣٩٤ هـ) ص ٣٠ .

ومن أشعاره في الحماسة ، قوله :

لاَ يَكْشِفُ الغَمَّاءَ إلاَ ابْنُ حُرَّة يَرَى غَمَرات الْمَوْتِ ثُمْ يَزُورُهَا
نُقَاسِمُهُمْ أَسْيَافَنَا شَرَّ قِسْمَةٍ فَفِينَا غَواشِيهَا وَفِيْهِمْ صُدُورُهَا (١)

وقد قيلت في مقتل جعفر أشعار رثاء وعتاب من والديّ جعفر ، وكذلك من بعض بني الحارث في نجران . فوالد جعفر (علبة الحارثي) ذكر بعض الشعر يرثي ابنه ، فقال :

لَعَمْرُكَ إنِّي يَوُمَ أَسْلَمْتُ جَعفَراً وَأَصْحَابَهُ لِلْمَوْتِ لَمَّا أُقَاتِلُ
لَمُجْتَنَبٌ حَبَّ الْمَنَايَا وَإِنَّمَا يَهِيْجُ الْمَنَايَا كُلُ حَقٍّ وَبَاطِـــلُ
فَرَاحَ بِهِمْ قَوْمٌ وَلاَ قَوْمَ عِنْدَهُمْ مُغَلَّلَةٌ أَيْدِيْهُمُ فِي السَّلاَسِلِ
وَرُبَّ أَخٍ لِي غَابَ لَو كَانَ شَاهِدَاً رَآه التَّبَالِيُّـــون لِي غَيرُ خَاذِلُ (٢)

كما قال أيضاً لامرأته قبل أن يقتل جعفر :

لَعَمْرُكِ إنَّ اللَّيْلَ يَا أُمَّ جَعْفَرٍ ، عَلَيَّ وإنْ عَلَّلتنـــي لطَويلُ
أُحَاذِرُ أَخْبَاراً مِنَ الْقَومِ قَدْ دَنَتْ وَرَجْعَةَ أَنْقَاضٍ لَهُنَّ دَلِيْلُ (٣)

---

(١) " جعفر بن علبة ... " ، ص ٤١٨ .
(٢) الأصفهاني ، المصدر السابق ، جـ ١٣ ، ص ٥٤ .
(٣) المصدر نفسه .

فأجابته زوجته :

أَبَا جَعْفَرٍ أَسْلَمْتَ لِلْقَومِ جَعْفَراً فَمُتْ كَمَداً أو عِشْ وَأَنْتَ ذَلِيْلُ [١]

وقالت امرأة من بني الحارث في حادثة جعفر :

وأَشْهَدُ أَنّ وَعْدَ الله حَقٌ وَأَشْهَـدُ أَنّ عَبَّاسَاً جَبَانُ [٢]

٤ - شعراء آخرون :

وهناك شعراء وجدنا لهم بعض المقطوعات الشعرية ، وهم أصلاً من بلاد نجران ، وقد أوردوا أشعارهم في أبواب مختلفة ، خارج وداخل أرض نجران . كما أن هناك بعض الأعراب الذين قالوا أشعاراً أيضاً في نجران ، وأهميتها الحضارية ، وسوف نذكر بعض النماذج المختصرة لأمثال أولئك الشعراء .

من ذلك ما ذكره الأستاذ حمد الجاسر ، في جمعه وتحقيقه لكتاب : التعليقات والنوادر ، لهارون بن زكريا الهجري (الذي عاش في آواخر القرن الثالث الهجري ، وأوائل القرن الرابع الهجري) حيث ورد في القسم الثاني من الكتاب ((الشعر والرجز)) ، أسماء بعض الشعراء والقبائل التي ينتسبون إليها ، وقد ذكر سبعة شعراء من عشيرة بني الحارث بن كعب في نجران ، وذكر ((٦٠)) بيتاً من أشعارهم ، كانت قد وصلت إلى الهجري عنهم ، ودونها في كتابه آنف الذكر [٣] . منهم جعفر بن علبة

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) الجاسر ، التعليقات والنوادر ، (المجلد الخاص بالشعر والرجز) ، ص ٥٠٥ .

الحارثي ، وقد أوردنا عند الحديث عنه ما ذكره الهجري عنه وأورده من شعره يوم سحبل ، وأورد له تسعة أبيات فقط ، قالها يوم سحبل ، ومطلع تلك الأبيات :

يَقُولُ العُقَيْلِيُّونَ إِذْ لَحِقُوا بِنَا سَتَرْجِعُ مَقْرُوْناً بِإِحْدَى الرَّوَاحِلِ [١]

أما الستة شعراء الآخرون فلا نجد لهم تراجم واضحة ، وإنما في اعتقادنا أنهم كانوا مغمورين ، وحفظ لنا الهجري بعض أشعارهم ، وهم :

أ – **ابن العرقوب الحماس الحارثي** [٢] ، ولم يذكر الهجري له إلا بيتين فقط هما :

أَلاَ هَلْ أَتَى مَنْ حَلَّ بَطْنَ حَبَوْنَنٍ ونَجْرَانَ أَخْبَارُ الأُمورِ الجَسَايِمِ
بِأَنَّا رَحَلْنَا العِيْسَ مِنْ ذِي بُوَانَةٍ وثَجْرٍ عَلَى رَأْيٍ مِنَ القَوْمِ حَازِمِ [٣]

ب – **عفير بن جندل الحماسي الحارثي** ، الذي ذكر له عشرة أبيات ، يفخر فيها بقومه وشجاعتهم في الحروب ، ومطلعها قوله :

ذَاكَ مَمْشَى جِيَادِ قَوْمِي وَفِيْهِمْ كَوْكَبُ العِزِّ حَوْلَهُ التَّأْيِيْدُ [٤]

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٥٠٥ ، ٥٧٢ .

(٢) والحماسي نسبة إلى الحماس بن ربيعة بن الحارث بن كعب بن مذحج ، المصدر نفسه ، ص ٧٢٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٧٢٩ ، انظر أيضاً حمد الجاسر ؟ أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع (الرياض : منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، د . ت) ، ص ٢٠٨ ، ٢٢٩ .

(٤) الجاسر ، التعليقات (المجلد الخاص بالشعر والرجز) ، ص ٧٤٢ – ٧٤٣ .

ج – **وبقية الشعراء السبعة** الذين ذكرهم الهجري ، محمد بن سويد العرياني الحاثي [١]، وأبو عمر نافع بن أصغر بن معاوية بن الحارث بن كعب [٢] ، ونيار بن عبد العزيز الحارثي المذحجي [٣]، والحارثي [٤] ، وقد ذكروا حوالي تسعة وثلاثين بيتاً في مقاصد وأبواب الشعر المختلفة كالمدح والهجاء والعتاب وغيرها .

د – **ابن السلمان الأبناوي النجراني** ، ولا نجد أي تفصيلات عن ترجمة هذا الشاعر ، إلا ما ذكر عنه الهمداني بقوله ((**ابن السلماني الأبناوي من ولد حرة بنجران ، وكان أشعر شعراء اليمن في عصره ، وقد وفد على الوليد بن عبد الملك فأوجهه وقدمه وأجزل له ...**)) [٥] .

أما شعره فلا نجد أيضاً إلا مقتطفات يسيرة منه حفظها لنا الهمداني ، والقرطبي. فالهمداني أورد عدة أبيات له في باب الرثاء منها رثائه لأحد سادات حمير ، فقال : [٦]

---

(١) ذكر له ثمانية أبيات فقط ، المصدر نفسه، ص٨٢٧، ومن تلك الأبيات في مدح بني الحارث ين كعب ، قوله :

أَنْتُمْ بنو الحَارِثِ الكَهْفُ المَلُوذُ بِه ... إذ ا لأُمُوْرُ أعَضَّتْ بالأبَاهِيْمِ
والضَّارِبُوْنَ ونَقعُ الخَيْلِ مُخْتَلِفٌ ... وَأَنْفُسُ القَومِ تَنْزُوْ في الخَيَازِيْمِ

(٢) المصدر نفسه ، ص ٨٨٦ ، ذكر له خمسة عشر بيتاً يهجي فيها شعراء قيس ، ومطلع تلك الأبيات :

نَأَتْ دَارُ سَعْدَى منْ نَوَاكَ فَأَصبَحَتْ ... بغَيْرِ التقالي لا تُدانيكَ دَارُهَا

(٣) وذكر الهجري له سبعة أبيات سمعها من شاعر حارثي آخر يدعى أبو الرديني ، المصدر نفسه ، ص٩١٣.

(٤) الحارثي : لم نجد له ترجمة ، ولكنه من شعراء بنو الحارث بن كعب كما ذكرها الجاسر في كتاب الهجري، وأورد له تسعة أبيات يعاتب في بعضها الشاعر محمد بن سويد العرياني ، قال في أولها :

ألاَ كيفَ إدْغَالُ الفَتَى برَفيقه ... وَقَدْ شَرَعتْ في الزادِ أيديهما معاً

المصدر نفسه ، ص ٥٨٦ – ٥٨٧ .

(٥) انظر ، الهمداني ، الإكليل (طبعة بغداد) جـ ٢ ، ص ٣٥ .

(٦) المصدر نفسه ، جـ ٢ ، ص ٣٦ .

أَلاَ إِنَّ أَوْسَاً قَاتِلَ الْجُوعِ قَدْ مَضَى وَأَرَّثَ مَجْـدَاً مَا تُنَالُ أَطَاوِلُـه
تَمَكَّنَ مِنْ فَرْعَي سَمَاوَةَ حِمْيَرٍ فَعَزَّ جَمِيْعَ النَّاسِ طَوْلاً تَنَاوُلُه
لَهُ كَانَ مُلْكُ الْجَاهِلِيَّةِ كُلَّهُ وَمِنْهُمْ مُجِيْر الْجُوعِ جُودَاً وَقَاتِلُه (١)

كما يقول في رثائه في قصيدة أخرى :

مَا كُنْتُ لِلْمُكْثِ فِي حِجْرٍ بِمُرتَقبٍ مِنْ بَعْدِ أُوْسِ النَّدَى مَا هَبَّتْ الرِّيْحُ
أُمْسِي وَأُصْبِحُ فِي الأَحْدَاثِ مُرْهَنَاً وَمِثْلُ أَوْسٍ فَمَرْثِيٌّ وَمَمْدُوحُ (٢)

كما يقول في أخيه كثير :

أَلاَ أَيُّهَا البَاكِي كَثْيراً أَخَا النَّدَى لَقَدْ هُدَّ مَنْ يُنْعَى إِلَيْهِ كَثِيرُ
فَمَا وَخَدتْ عِيْسٌ وَلاَ ذَمِلْتْ بِه كَمِثْلِ كَثِيرٍ فِي الْفَلاَةِ يَسِيْرُ
هُوَ السَّيْدُ البَانِي الْمَعَالِي لِقَوْمِه مَآثِرُ مَجْدٍ كُلُّـهُنْ كَبِيرُ (٣)

فهنا نجد الشاعر يقول وفاء للمرثي ، ومما لا شك فيه أنه قد مدحه في حياته ، إما لإعجاب وإما لنوال ، ولهذا ، فلولا بعض الألفاظ التي تدل على أن الشخص ميـت لوجدنا صعوبة في التمييز بين هذا الرثاء والمدح .

---

(١) المصدر نفسه .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) المصدر نفسه .

كما أن الشاعر له أبيات أخرى ربط فيها بين معاناته النفسية ، وبين اعتداده بشخصيته ، فمعاناته تكمن في نقد الناس له على زهوه مع أنه مصر على اتباع هذا المسلك رغم ما يقابل من الناس فقال : [١]

أَتَيْهُ عَلَى جِنِّ البِلاَدِ وَأُنْسِهَا وَلَو لَمْ أَجِدْ خَلْقَاً لَتُهْتُ عَلَى نَفْسِي
أَتِيهُ فَلاَ أَدْرِي مِنَ التِّيْهِ مَنْ أَنَا سِوَى مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيّ وَفِي جِنْسِي
فَإِنْ زَعَمُوا أَنِّي مِنَ الإِنْسِ مِثْلَهُمُ فَمَالِيَ عَيْبٌ غَيْرَ أَنِّي مِنَ الإِنْسُ [٢]

هـ - خديج (أخو النجاشي الحارثي) [٣]

له أبيات شعرية يظهر فيها الرثاء الصادق على أخيه النجاشي ، فيقول :

مَنْ كَانَ يَبْكِي هَالِكَاً فَعَلَى فَتىً ثَوَىَ بِلَوَى لَحْجٍ وَآبَتْ رَوَاحِلُهْ
فَتَىً لاَ يُطِيعُ الزَاجِرِيْنَ عَنِ النَّدَىَ وَتَرْجِعُ بِالعِصْيَانِ عَنْهُ عَوَاذِلُـهْ
سَأَبْكِي عَلَيْهِ مَا بَقِيْتُ وَرَاءَهُ كَمَا كَانَ يَبْكِي سَاقَ حُرٍّ حَلاَئِلُهْ [٤]

ويظهر من جودة هذا الشعر ، أن الشاعر كان ينفطر ألماً في البيت الأول ، فهو فزع لعودة الرواحل بدون صاحبها ، وفي اعتقادنا لو أن القصيدة وصلتنا كاملة لعرفنا من خلالها مدى التأثير القوي الذي يختلج في نفس الشاعر [٥]

---

(١) انظر ، يوسف بن عبد الله القرطبي . بهجة المجالس (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧ م) جـ١ ، ص ٤٤٠ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) هو خديج بن عمرو بن مالك بن حزن بن الحارث بن خديج بن الحماس بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن وهلة بن خالد بن مالك بن أدد . انظ ، أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي . المؤتلف والمختلف ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج (طبعة دار احياء الكتب العربية ، ١٩٦١ م) ، ص ١٥٨ .
(٤) المصدر نفسه ، ١٥٨.
(٥) ذكر الأمدي أنها قصيدة طويلة وجيدة .

و – شريح بن هانئ الحارثي

هو شريح بن هانئ بن يزيد بن نهيك بن دريد بن سفيان بن سلمه ، وهو الضباب بن الحارث بن كعب بن مذحج ، شاعر فارس مقدم في قومه ، كان من المعمرين ، وقد ذكره السجستاني ، وقال أنه عاش (١٢٠) سنة ، وقد شارك في فتوح فارس ، ثم سكن الكوفة ، وكان مع علي في حروبه ضد معاوية، وقتل في ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي [١] . ذكر بعض الأشعار التي يحث فيها أبا موسى الأشعري ﷺ على أن يكون حريصاً في التعامل مع عمرو بن العاص ﷺ في واقعة التحكيم ، ويحثه على أن يكسب الجولة لصالحه ولصالح علي بن أبي طالب ﷺ ، مع أن شعره فيه نوع من التجاوزات اللفظية والنيل من بعض الصحابة أمثال : عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنهما) [٢] .

ز – عبيد الله بن موسى الحارثي :

هو عبيد الله بن موسى بن جار بن الهذيل الحارثي ، عاش في الكوفة ، وقال بعض الشعر في رثاء علي بن أبي طالب ﷺ عندما قتل في الكوفة ، فقال :[٣]

بَكَيْتُ عَلِيًّا جَهْدَ عَيْنِي فَلَمْ أَجِدْ ... عَلَى الجَهْدِ بَعْدَ الجَهْدَ مَا أَسْتَزِيدُهَا

فَمَا أَمْسَكَتْ مَكْنُونَ دَمْعِي وَمَا شَفَتْ ... حَزِيْنًا وَلاَ تُسْلَى فَيُرْجَى رُقُودُهَا

وَقَدْ حَمَلَ النَعْشَ ابنُ قَيس وَرَهْطُه ... بِنَجْرَانَ [٤] وَالأَعْيَانُ تَبْكِي شُهُودُهَا

عَلَى خَيْرِ مَنْ يُبْكَى وَيُفْجَعُ فَقْدُه ... وَيُضْرَبْنَ بِالأَيْدِي عَلَيْهِ خُدُودُهَا [٤]

---

(١) ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤١٦ – ٤١٧ ، وللمزيد ، انظر ، السومحي ، جـ١ ، ص ١١٩ – ١٢٠ .

(٢) ابن مزاحم ، ص ٥٣٤ ، انظر أيضاً السومحي ، جـ١ ، ص ١١٩ – ١٢٠ .

(٣) ياقوت ، معجم ، جـ ٥ ، ص ٢٦٩ .

(٤) المقصود بنجران هنا ، هو موضع على يومين من الكوفة ، وقد قطنه نصارى نجران عندما أخرجهم الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ، وسموه على أسم نجران الرئيسة في جزيرة العرب . انظر ، ياقوت ، المصدر نفسه ، جـ ٥ ، ص ٢٦٩ .

(٤) المصدر نفسه .

ح – وهناك أعرابي يذكر نجران وأهمية أسواقها ، ونشاط تجارها فيقول في ذلك :

إِنْ تَكُونُو قَدْ غُبْتُمُ وَحَضَرْنَا ... وَنَزَلْنَـــا أَرْضَاً بِهَـــا الأَسْوَاقُ

وَاضِعَاً فِي سَرَاةِ نَجْرَانَ رَحْلِي ... نَاعِمَاً غَيْرَ أَنَّنِي مُشْتَاقُ [١]

ط – **ويتكلم عطارد بن قّران** ، أحد اللصوص [٢] ، الذين كان قد أخذ وحبس بنجران ، فقال فيها شعراً يصور حالته في السجن عند آل بني عبد المدان ، فقال : [٣]

يَطُولُ عَلَيَّ اللَّيْلُ حَتَّى أَمَلّه ... فَأَجْلِسُ وَالنَّهْدِيُّ عِنْدِيَ جَالِسُ

كِلاَنَا بِهِ كَبْلاَنِ يَرْسُفُ فِيْهِمَا ... وَمِسْتَحْكِمُ الأَقْفَالِ أَسْمَرُ يَابِسُ

لَهُ حَلَقَاتٌ فِيهِ سُمْرٌ يُحِبُّهَا أَلـــ ... ـــعُنَاةُ كَمَا حَبّ الظِّمَاءَ الحَوَامِسُ

إِذَا مَا ابْنُ صَبَّاحٍ أَرَنّتْ كُبُولـــهُ ... لَهُنّ عَلَى سَاقِيَّ وَهْناً وَسَاوِسُ

تَذَكّرْتُ هَلْ لِي مِنْ حَمِيْمٍ يَهُمّهُ ... بِنَجْرَانَ كِبْلايَ اللَّذَانِ أُمَارِسُ

فَأَمَا بَنُو عَبْدِ الْمَدَانِ فَإِنَّهُمْ ... وَإِنّي مِنْ خَيْرِ الْحَصِيْنِ لَيَائـــسُ

رَوَى نَمِرٌ مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ أَنَّكَمْ ... عَبِيدُ العَصَا لَوْ صَبَّحَتْكُمْ فَوَارِسُ [٤]

---

(١) ياقوت ، معجم ، جـ ٥ ، ص ٢٧٠.

(٢) لم أجد له ترجمة أو أي معلومات تعرفنا على شخصيته .

(٣) ياقوت ، معجم ، جـ ٥ ، ص ٢٧٠ – ٢٧١ .

(٤) المصدر نفسه .

ويتضح لنا من نماذج شعراء الفترة التالية لحروب الردة بعض الأمور منها ما يلي :

١ - تفاوت الشعراء في مكانتهم الشعرية ، فبعضهم منهم ربما يأتون في تصنيف الشعراء الكبار ، لجودة شعرهم ، وانتشاره وتعدد أبوابه ، مثال: عمرو بن معدي كرب الزبيدي ، مع أنه قد ساهم في الفتوحات الإسلامية ، ومساهمته لم تكن بالحروب فقط ، وإنما بالشعر أيضاً . كذلك النجاشي الذي عاصر الفتن التي حصلت في عهد الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ ، ولبذاءة لسانه فإنه لم يتورع في شعره من هجاء بعض الصحابة ﷺ وتجاوزه حدود الدين والأدب في بعض أشعاره .

٢ - تجاهلت كتب التراث الشعراء الذين ذكرنا خلاف ابن معدي كرب ، والنجاشي ، وجعفر بن علبة الحارثي ، وهذا مما يدل على أنهم كانوا مغمورين سواءً في بلاد نجران أو خارجها ، والنتف التي وصلتنا من أشعارهم تؤكد لنا على وجود حياة علمية وأدبية حافلة في بلاد نجران وما حولها من بلاد اليمن والسروات ولكن عدم تدوين ذلك التراث هو الذي جعل أمثال هؤلاء الشعراء يعدون في طبقات المجهولين أو المغمورين .

٣ - جعفر بن علبة يعد من الشعراء المغمورين رغم جودة أشعاره ، ولولا الحادثة التي حصلت له مع العقيليين ثم القصاص به في مكة المكرمة ، لما كان وصلنا شيء من شعره ، ولكن ما حدث من إجراءات حتى تم تنفيذ القصاص فيه جعل الناس يتناقلون شعره حتى دون في بعض كتب التراث المبكرة [1] .

٤ - ذكر هذه النماذج الشعرية عن أولئك الشعراء لا يعد حصراً لكل ما قيل من شعر في نجران أو شعراء نجرانيين خلال القرون الإسلامية الأولى، وإنما لا زال هناك شعراء عدة ظهروا خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين ، وبعضهم قال شعره داخل الجزيرة العربية ، وربما داخل

---

(١) أن ضعف الخلافة العباسية ، ثم ظهور قوى ودويلات سياسية مختلفة في اليمن ، مثل : الدولة الزيادية ، واليعفرية ، والاسماعيلية ، والزيدية ، ثم تعدد المذاهب والتيارات الفكرية جعلت الحركة الفكرية والأدبية والشعرية تنشط في تلك البلاد .

بلاد نجران ، متأثراً بالأحداث السياسية التي سادت البلاد آنذاك ، وبعضهم الآخر قال شيئاً من الأشعار وهو خارج الجزيرة العربية، لكنه لا زال ينتسب إلى نجران وأهلها حتى وأن خرج أو ولد في الأمصار الإسلامية البعيدة عن مسقط رأس آبائه وأجداده [١]

رابعاً : علوم ومعارف أخرى :

وكانت بلاد نجران مثلها مثل غيرها من مدن وحواضر شبه الجزيرة العربية لا تخلو من وجود علوم ومعارف أخرى . فوجد بها في الفترة الزمنية التي نعالجها من كان عالماً بالتاريخ وأنساب القبائل ومواطنها ، وأعرافها ، وتقاليدها ، كما كان هناك أيضاً بعض العارفين بعلوم الفلك وخاصة ما يتعلق بمواسم الأمطار ، وأوقات الزراعة والحصاد وما شابه ذلك ، أيضاً كان من بين النجرانيين من يمارس مهنة الطب ، فقد ذكر أن الشمردل [٢] كان من أعظم أطباء بني الحارث بن كعب في نجران ، ويذكر أنه قدم على الرسول ﷺ في السنة العاشرة للهجرة ، وطلب من الرسول ﷺ وضع ميثاق لمهنة الطب [٣] . ومما يذكر أنه قال للرسول ﷺ : ((**يا رسول الله إني كنت كاهن (طبيب) قومي في الجاهلية ، وإني كنت الطبيب وما يحل لي ؟ فقال رسول الله ﷺ فصد العرق ، ومحبسة الطعنة إن اضطررت ، ولا تداوي أحداً حتى تعرف**

---

(١) واذا أمد الله في العمر فسوف نخصص دراسة مستقلة (بإذن الله) عن شعر وشعراء نجران خلال القرون الإسلامية المختلفة .

(٢) هو الشمردل بن قباب الكعبي النجراني ، انظر ، أحمد شوكت . الطب عند العرب (القاهرة : مؤسسة المطبوعات الحديثة ، د . ت) جـ ١ ، ص ٣٦ .

(٣) المرجع نفسه ، جـ ١ ، ص ٣٥ – ٣٦ .

داءه)) [١] . وعندما سمع الشمردل قول الرسول ﷺ ، قال : ((**والذي بعثك بالحق أنت أعلم بالطب مني**)) [٢] .

وتشير المصادر إلى أنه عندما طعن أبو لؤلؤة المجوسي الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ في المدينة دُعي له بطبيب من بني الحارث بن كعب لأجل علاجه ، لكنه قضى نحبه على إثر تلك الطعنة الغادرة [٣] . ولعل ذلك ينهض دليلاً على علو كعب النجرانيين في مهنة الطب ، ووجود عديد من وجوه بني الحارث أصحاب نجران على دراية جيدة بعلوم الطب والتداوي .

ونستنتج من هذه النصوص بعض الدروس منها :

١ - علم الرسول ﷺ بمهنة الطب وأنه كان على درجة عالية بعلوم التطبيب، ويؤكد ذلك ما ذكره أصحابه ﷺ ، من أنه كان يدسم التطبيب ، وكان يأمر بالحمية وينهى عما يؤذي ، ويصف الأدوية ، ويحدث في حفظ الصحة [٤] . وقد تعلمت منه الطب زوجته أم المؤمنين ، عائشة (رضي الله عنها) ، حتى قال هشام بن عروة : ((**ما رأيت أحداً أعلم بالطب من عائشة**)) [٥] .

٢ - شهرة بعض رجالات بني الحارث بن كعب أصحاب نجران بالطب والتطبيب ، ولم تكن ممارستهم لهذه المهنة محدودة في بلاد نجران ، وإنما كانوا يخرجون إلى حواضر وأمصار أخرى لممارسة هذه المهن ، وأكبر دليل

---

(١) المرجع نفسه .

(٢) المرجع نفسه ، جـ ١، ص ٣٦ .

(٣) للمزيد انظر ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٣ ، ص ٢٦ – ٢٧ .

(٤) أحمد شوكت ، المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٦ .

(٥) المرجع نفسه .

على ذلك ذكر الشمردل في عهد الرسول ﷺ ، وذلك الطبيب الآخر الذي أشرف على علاج الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ .

٣ - لا نستبعد ظهور أطباء آخرين مارسوا مهنة الطبابة خلال العصور التالية لعصر الخلفاء الراشدين . فقد كان هناك من الأمراض والأوبئة الكثيرة التي تصيب الإنسان ، والحيوان ، مما يجعل الناس يبحثون عمن يقوم على مكافحتها وإيجاد العلاج المناسب لها ، ونسمع إلى عهد قريب تعدد الأمراض المختلفة ، والقيام على علاجها بوسائل تقليدية قديمة تختلف عما نشاهده في المستشفيات والمراكز الصحية في وقتنا الحالي [١] .

وإلى جانب ما سبق عرفت بلاد نجران بعض العقلاء ، والحكماء ، منذ العهد الجاهلي وعبر العصور الإسلامية التالية ، فكان منهم من يسعى إلى الإصلاح بين الناس ، بل كان هناك من اتصف بالحكمة السديدة ، والرأي الثاقب في أقواله وأفعاله، سواءً داخل أسرته ، أو مجتمعه أو بين القبائل والبطون والعشائر المختلفة . كذلك لم تخل بلاد نجران وما جاورها من بلدان اليمن ، والسروات ، والحجاز من الرواة والسُمّار الذين كانوا يجالسون الناس ويروون لهم بعض الحكايات والأقاصيص التي مرت على الأجيال السابقة . ورغم أن المصادر التي بين أيدينا قد أحجمت عن ذكر أسماء أشخاص بعينهم عرفوا بذلك ، إلا أن هناك كثيراً من المصادر التي تناقلت أسماء بعض الرواة والقصاص في صنعاء ، ومكة المكرمة . ونظراً

---

(١) مقابلة الباحث للعديد من الرواة الذين نقلوا له روايات مختلفة عن الطب والتطبيب في العهود الماضية . ابن جريس ، عسير ، ص ١٠٥ – ١٠٨ ، آل زمانان وأخرون ، " دراسة تاريخية مختصرة للحياة الصحية في منطقة نجران ... " ، ص ١٨ وما بعدها

لوجود نجران بين حواضر اليمن والحجاز الكبرى، بالإضافة إلى صلاتها التجارية والحضارية مع اليمامة والبحرين ، وبلاد العراق وفارس ، كل هذا بدون شك يجعلنا نرجح أن مثل تلك المعارف لا بد أنها وصلت إلى المجتمع النجراني وتأثر بها ، ووجد بينهم من يقوم براوية الأخبار والأقاصيص . ولكن نظراً لعدم الاهتمام بها واهتمام مدوني التراث بالحواضر الكبرى فقد أغفل ذكر مثل هذه الشخصيات .